الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية -قسنطينة-
رقم التسجيل:.....
الرقم التسلسلي:.....

كلية : الآداب والعلوم الإنسانية
قسم : اللغة العربية

عنوان البحث:

إعجاز القرآن عند محمود شاكر

"عرض وتحليل"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية.

تخصص: إعجاز القرآن والدراسات البيانية.

إعداد الطالب:
عبد المطلب بوغرارة

إشراف الأستاذ الدكتور:
رابح دوب

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
رشيد قريبع	رئيسا للجنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري-قسنطينة-
رابح دوب	مشرفا ومقررا	أستاذ العليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة-
ناصر لوحيشي	عضوا مناقشا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة-
ذهبية بورويس	عضوا مناقشا	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة-

العام الدراسي: 1431هـ/1432هـ - 2010م/2011م.

إهـــــــداء

أهدي هذه الرسالة إلى أعزّ ما أملك في هذه الدنيا؛ إلى من أوصاني ربي بالإحسان إليهما، وهذا أقل الإحسان:

إلى والدتي، التي أحسب أني لم أنل خصلة خير ولا حظ توفيق إلا بدعائها المبارك.

إلى والدي رحمه الله الذي لم تكن لي معه كثير ذكريات، إلا أني مستبشر بذكره الحسن عند الناس، والذي خلفه من بعده.

كما أهديها إلى جميع إخوتي: إسماعيل عبد الرزاق حسين وليد رحمهم الله، وعبد السلام ونصيرة وغنية وفريد وآسيا وخليل وعبد الرؤوف حفظهم الله ووفقهم لطاعته.

كما أهديها إلى جميع أفراد عائلتي بأصولها وفروعها وحواشيها من أعمام وأخوال وبَنِيهم، وبخاصة زوجتي الوفية، وولديَّ: الرباب واليقظان، وابن أختي حمزة دراجي.

كما أهديها إلى جميع أصدقائي: مراد، هشام، ورابح، حسان، وحيد، حمزة بورويبة، ومحمد رمضاني، ورمزي لكحل، ومصطفى بن راحلة...إلخ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

بادئ ذي بدء أشكر الله ﷻ الذي أسبغ عليَّ نعمه ظاهرةً وباطنةً، وآتاني من كل ما سألته، فلا أملك إلاّ أن أقول قولة الأنبياء عليهم السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ النمل: 19، ثم عملا بحديث نبينا ﷺ، وهو قوله: « من لا يشكر الناس لا يشكر الله».

فإنني أتقدم بشكري الجزيل إلى فضيلة شيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور: رابح دوب؛ الذي من أراد أن يُغضي عن محاسنه لم تجبه عيناه، أو أراد أن يسكت عن فضائله تنكَّر له لسانه وشفتاه، أكرم به وأنعم من أستاذ، فقد تحمل عناء ومشقة هذا البحث، أسأل الله أن يجعله هاديا مهديا ،وأن يجزيه خير الجزاء.

وأشكر أيضا إدارة وعمال جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة الغرّاء، تلك الجامعة التي غدت مأوى لكل طالب علم، يغدو عليها الطلبة خِماصًا ويَروحُون بِطَانًا. غير أنني أخص منها بالذكر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربيّة.

والشكر بعد ذلك موصول إلى جميع من أعانني على إنجاز هذا البحث من الأساتذة الكرام والزملاء الأفاضل الذين شجعوني على إتمام الرسالة وتقديمها للمناقشة.

والله أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسنات الجميع -آمين-.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقَدِّمَة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل القرآن العظيم، فتحدى به العالمين، قائلا ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء:88، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ﷺ أكرمه ربه بالقرآن الكريم وشرَّفه به، وشرَّف قومه، فقال ﷻ:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ الزخرف: 44، فكان آية نبوته وأعظم بها من آية فاقت كل آيات الأنبياء عليهم السلام، صلى الله عليه وعلى أصحابه الغرِّ الميامين الذين سخَّرهم الله ﷻ، فكانوا حملةَ كتابِه ومُبلِغيه إلى الأجيال من بعدهم، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا مزيدًا، وبعدُ:

فإنَّ القرآن الكريم هو آية النبي الأمين محمد ﷺ الذي تحدى به العالمين على أن يأتوا بمثله فلم ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وقد كان القرآن الكريم آيةً ربانيةً متميزةً عن سائر آيات الأنبياء عليهم السلام من قبلُ، ولعظيم شأن هذه الآية،ومُذْ نُزولها على قلب محمدٍ ﷺ بدأت عناية العلماء بها من جهة حفظها في الصدور والسطور، ومن جهة تدبُّرها و مدارسة علومها.

وكان من أهم ما تعلق بالدرس القرآني؛ ما اصطلح عليه العلماء بـ :"**إعجاز القرآن الكريم**"، -وإن كان متأخر النشأة -، لكن قد تقدمت له إرهاصاتٌ حَاول فيها أصحابها تَجْلِيّة مظاهر الإعجاز من القرآن الكريم وبيانها، وثار جدل كبير حول ذلك؛ فتارةً يكون الإعجاز هو قمّة البلاغة العربيّة والبيان، وتارة هو المُنتهى في التأثير على النفوس، وتارة أخرى هو مفتاح الغيب في ما مضى وما يستقبلُ، وأخرى هو كشَّاف الحقائق العلميّة المبهرة، والناس في ذلك بين هذا وذاك كلٌّ له حجةٌ يعرضها، ويدلي بها وينافح عنها بالبراهينِ والبيِّناتِ، فجرى بذلك الحبر الكثير، ولا يزال إلى يوم النَّاس هذا.

التعريف بالموضوع:

كان ممن تكلَّم في هذا المجال الرحيبِ و الميدان الخصيبِ "إعجازُ القُرآنِ الكريمِ" من العلماء المعاصرين **الأستاذ محمود محمد شاكر** رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد أدلى بدلوه و أَغْـرَف من بحره، وإن كان كلامه في ذلك قليلا، ولكن حسبك منه -إن تأملته و دققت فيه النظر-؛ ذلك التحقيق البديع، والتأريخ الدقيق، والاستقراء المتكامل.

ولمـــَّا كنتُ- بحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- طالبا في مرحلة الماجستير في قسم اللغة العربية والدراسات القرآنية متخصصًا في إعجاز القرآن والدراسات البيانيّة، وكان كلام محمود شاكر في الإعجاز ووجوهِهِ له منحاهُ البيانيِّ، أردتُ أن أُســـهم بما أستطيعه من البحث في هذا العِـــلْمِ، وعن ذاك العَـــلَمِ، وذلك بمحاولة إبراز معالم درس الإعجاز عند الأستاذ محمود شاكر و الذي يُعَـــدُّ تناوله للموضوع تناولا متميزا، فأردت أن أكتب موضوعًا علميًا أبحث فيه عن تلكم المعالم، وذلك من خلال آثار الأستاذ المتنوعة بين التأليف و التحقيق، وبخاصة كتابه **"مداخل إعجاز القرآن"**، الذي جعله لُحمة بحثه في درس الإعجاز، وفيه ترك بصمته واضحةً في هذا الدرس.

وإن رجائي في الله العظيم عظيم لإنجاز هذا البحث، وإتمامه على وجهٍ مرضيٍّ بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عنوان البحث:

لقد اخترتُ - بعد التفكير والمشاورة- أن يكون عنوان هذا البحث:

" إعجاز القرآن الكريم عند محمود شاكر - عرض وتحليل -".

ومن خلال العنوان، يتبـــين أن البحث سيقوم على عرض مادة الإعجاز عند محمود شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ وذلك عن طريق سَبْر كلامه من كتبه -المؤلفات والتحقيقات-، وخاصةً كتاب "مداخل إعجاز القرآن"، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة التحليل القائمة على تقسيم المادة العلمية المجتمعة من ذلك، ومناقشتها ومقارنتها بكلام غيره من علماء الإعجاز.

إشكالية البحث:

إنّ اختيار هذا العنوان يسوقُنا إلى إشكالياتٍ كثيرةٍ ومهمةٍ، يلزمنا إماطةُ اللِّثام عنها من خلال هذه الدراسة، ولعلّ أهمّ تلكم الإشكاليات وأكبرها ثلاثةٌ، وهي:

- **أولا:** كيف تـــناول محمود شاكر درس الإعجاز، وما هي الأدواتُ التي استعان بها في تأصيل هذا الدرس؟.

- **ثانيا:** ما هو رأيُ محمود شاكر في وجوه إعجاز القرآن الكريم؟ وما هي الوجوه التي اتفق أو اختلف فيها مع غيره من العلماء، والتي تَميّز بها عنهم؟.

- **ثالثا:** كيف كان موقف شاكر من العلماء الذين ساهموا في درس الإعجاز بالكتابة تحليلاً وبيانًا؟.

أهمية البحث:

لا شكَّ أن البحث في رحاب القرآن الكريم، و ما يتعلق به من علوم من جهة العموم شيء عظيم؛ كيف إذا كان البحث في أجل علومه قدرا وأشكلها فهْما ؟ أعني بذلك علم إعجاز القرآن الكريم، **الذي استمد جلالته من القرآن الكريم، وجماله من البلاغة العربية، وإشكاله من علم الكلام**، وإنّ أهميّة هذا البحث تظهر لي من حيثياتٍ عدة لعل أهمها:

1- أهمية علم إعجاز القرآن الكريم.

2- دقة محمود شاكر رحمه الله في تناول وجوه الإعجاز مع شيء من الشمولية والاستقراء والتتبع لذلك، ومع شيء من التحقيق لمسائل مهمة في هذا الدرس.

3- تناول شخصية معاصرة مغمورة في جانب الدراسات الأكاديمية، وإن كانت دراسة فهي في غير مجال القرآن، وإنما هي في فلك اللغويات والنقد والتحقيق.

أسباب ودوافع اختيار هذا الموضوع:

لقد كانت لاختيار هذا البحث أسبابٌ متنوعةٌ بعضها علميٌّ موضوعيّ، وبعضها الآخر ذاتـــيٌّ شخصيّ :

أما الأسباب **العلمية الموضوعية** فهي:

1- الرغبة في الوقوف على شيء من التحقيق في مسألة الإعجاز في القرآن الكريم من خلال كلام محمود شاكر رحمه الله.

2- محاولة إظهار التناول المتميز لمحمود شاكر لمسألة الإعجاز ودقة دراسته.

3- إنجاز دراسة هامة حول محمود شاكر، وبخاصة كونها في مجال الدراسات القرآنية.

وأما الأسباب **الذاتية الشخصية** فهي:

1- التأثُّر بشخصية محمود محمد شاكر رحمه الله.

2- الرّغبة في أن تكون رسالتي متصلةً بالقرآن الكريم رجاء النيل من بركته، وبركة قول النبـــي ﷺ :«خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

الدراسات السابقة :

بعد الجهد المتواضع الذي قمتُ به في محاولة معرفة الدراسات التي كُتبت حول الأستاذ محمود شاكر رحمه الله وجدت معظمها، إما في الترجمة له أو في باب إبراز جهوده النقدية أو الشعرية وكذا اللغوية، ومع ذلك فإن هناك من هذه الدراسات دراساتٌ تناولت قضية الإعجاز عند محمود شاكر، ولكن دون أن تبرز هذه القضية إبرازا واضحا، ويُعنى بها العناية اللازمة، ومن بين الدراسات التي تناولت طرفا من قضية الإعجاز القرآني:

الرسالة الأولى: وهي رسالة ماجستير للباحث **محمود إبراهيم الرضواني**، بعنوان "شيخ العروبة وحامل لوائها أبو فهر محمود محمد شاكر بين النقد الأدبي والتحقيق"، وقد نبّه إلى أمر مهم، في كون محمود شاكر ومن خلال قراءته الواعية للشعر العربي وجل تراث العربية، اتّجه إلى النظر في القضية المـــُحيِّرة وهي "قضية إعجاز القرآن"، وربط هذه القضية بقضية الشعر الجاهلي، وبـــيَّن أن القضيتين متلازمتان عنده لا تنفك إحداهما عن الأخرى؛ أي أن معرفة إعجاز القرآن معرفة صحيحة يجب أن تقوم على الشعر تذوقًا وتدقيقًا سليمًا.

ولا شك أن هذا أمر عظيم في درس إعجاز القرآن الكريم إلاَّ أن تناوله لا على وجه القصد يجعل الكثير من الباحثين لا ينتبه إليه، وبخاصة المتخصصون في علوم القرآن، ثم ليس كل درس الإعجاز عند شاكر يكمن في هذه القضية بل هناك قضايا هي أعظم منها، لذلك سأجتهد أثناء بحثي هذا في تقصـــِّي معالم الدرس عند محمود شاكر بإذن الله تعالى، ثم إظهارها في بحثٍ واحدٍ، حتى يستفيد منها دارس اللُّغة و دارس علوم القرآن على حد سواء.

وأما الرسالة الثانية: فهي رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر تخصص الأدب العربي الحديث والمعاصر قام بإعدادها الطالب: باسم بلام، بعنوان: "محمود محمد شاكر ومنهج التذوق في نقد التراث الأدبـــي - التأصيل والممارسة-" تحت إشراف الدكتور: رشيد قريبع، وفي

الرسالة أَوْرد الطالب فصلا كاملا بعنوان: **محمود شاكر والإعجاز القرآني**، وعندي ملاحظات عديدة على الرسالة، لكني أقتصر على ما له علاقة بدرس الإعجاز ولعل أهم ملاحظة، هي:

أن الطالب فسرّ الإبلاس بعيدا جدا عما أراده محمود شاكر، إذ جعله يشترك مع القول بالصرفة، كما في ص48، من المذكرة، وليس كذلك، وإنما أراد شاكر بالإبلاس الحالة التي انتابت العرب الذين نزل عليهم القرآن والذين كانوا على قدر كبير من تذوق الكلام، ثم لما نزل عليهم القرآن شدهوا واعتراهم الإبلاس الذي جعله شاكر اللفظ المناسب لكل آية من آيات الأنبياء إذا شاهدها أقوامهم، فالذي يعتري الأقوام عند مشاهدة الآية اصطلح عليه شاكر رحمه الله بالإبلاس، وكيف يَتبنَّى شاكر الصّرفة وقد أنكرها على غيره.

المنهج المتبع:

إن طبيعةَ هذا البحث القائمةُ على العرض والتّحليل تقتضي أن تقوم دراسته على العديد من المناهج العلمية، وذلك بحسب ما يتضمنه من مباحث ومطالب، ولعل أظهر المناهج التي سأستخدمها في تناولي للبحث خمسٌ ، وهي كالآتـــي:

أولا :المنهج **التأريخي** وذلك عند الكلام على ترجمة محمود محمد شاكر، وكذا عند التأريخ لقضية الإعجاز في أثناء عرض مسيرتها التاريخية كما تناولها شاكر، **وثانيا**: المنهج **الوصفي**: عند بيان تأصيل الدَّرس عند شاكر، لأنني في ذلك سأقوم بعرض كلام شاكر ووصفه، **وثالثا** :المنهج **الاستقرائي**، وسأستعين به في استقراء مؤلفات وتحقيقات محمود شاكر للكشف عن وجه الإعجاز الذي كان معتبرا عنده، وكيفية تناوله لدرس الإعجاز عموما، **ورابعا** :المنهج **التحليلي**، لتحليل كلام الأستاذ شاكر في قضية الإعجاز، **خامسا**: المنهج **المقارن**، وذلك في الفصل الذي عقدته لبيان موقف شاكر ممّن سبقه من علماء الإعجاز، وخلال ذلك سأعقد مقارنات بينه وبين جملة من العلماء.

وأيضا هنا أريد أن أذكر المنهج الذي اتبعته في الأمور التي لا تختص بفصل أو مبحث أو مطلب دون غيره، بل هي واردة في جميع الرسالة، وهو كالآتـــي:

أ- ما يتعلق بالتهميشات: فقد اتبعت في كتابة الهوامش الطريقة المبينة أدناه:

• أذكر كل المعلومات الخاصة بالكتاب الذي أحلتُ عليه في أول مرة في البحث، ثم بعد ذلك لا أعيد ذكر المعلومات في الإحالات الأخرى.

• فإذا أحلت إلى الكتاب مرة أخرى، فإنني لا أذكر المعلومات الخاصة به، ولكن أكتفي بذكر اسم الكتاب فقط والجزء والصفحة للمعلومة المأخوذة منه، وقد أذكر في بعض الأحايين اسم الكتاب مع مؤلفه إذا اقتضى الأمر ذلك دون اطراد لذلك، كما أنني أحيانًا أختصر بعض عناوين الكتب، مثل: تفسير الطبري بدل جامع البيان في تأويل القرآن، المداخل بدل مداخل إعجاز القرآن لشاكر، جمهرة المقالات بدل جمهرة مقالات محمود محمد شاكر.

• أما عن ترتيب المعلومات للمصادر والمراجع، فكان على النحو الآتي: أولا أذكر اسم الكتاب، ثم مؤلفه، ثم محقق الكتاب إن وجد، ثم اسم دار النّشر ومكان الطبع، ثم رقم الطّبعة مع سنة الطبع، ثم أذكر الجزء متبوعا بالصّفحة.

ب- ما يتعلق بالآيات القرآنية: اتبعت المنهج الآتي:

• اعتمدت رسم المصحف العثماني براوية حفص عن عاصم.

• خرّجت الآيات في متن الرسالة بعد سوق الآية مباشرة أذكر اسم السورة ورقم الآية حتى لا تكثر الهوامش.

ج- ما يتعلق بالأحاديث النبوية: فقد اتبعت المنهج الآتـــي:

• خرجت الأحاديث التي في الرسالة، وذلك بردها إلى مظانها من دواوين السنّة النبوية، مقدما الصحيحين البخاري ومسلم، أو أحدهما، ثم السنن الأربعة أو أحدها، ثم إن لم يوجد في هذه الكتب انتقلتُ إلى غيرها من الكتب الأخرى المتخصصة كمسند أحمد وموطأ مالك وغيرهما.

د- ما يتعلق بتراجم الأعلام: اتبعت المنهج الأتـــي:

• ترجمت لغالب الأعلام الذين ذكروا في الرسالة غير مبال بشهرة العَلَمِ من عدمها.

• لم أترجم لعامة تلاميذ محمود شاكر رحمه الله لندرة تراجمهم، أو لعدمها.

هـ- كما أنني شرحتُ بعض الألفاظ الغامضة، في بعض الحواشي مستعينا بالمعاجم اللغوية، دون إشارة لذلك.

هذه هي أهم الأمور التي أردت بيانها في وصف المنهج المتبع في كتابة هذا البحث، وسأزيد بعض البيان في موضعه إن شاء الله تعالى.

خطة البحث:

عنوان هذا البحث والأهداف التي سطرت له تلزمني أن أُقسِّم خطته -على سبيل الإجمال- إلى: مقدمةٍ، ومدخلٍ، وثلاثة فصولٍ رئيسةٍ وخاتمةٍ.

وأما على سبيل التفصيل فهي على النحو الآتي:

مقدمة: و قد ضمنتها العناصر الأساسية للمقدمة.

مدخلٌ: في ترجمة محمود محمد شاكر.

وفيه مباحث: **المبحث الأول:** ترجمة الحياة الشخصيّة.

المبحث الثاني: ترجمة الحياة العلميّة لمحمود شاكر.

المبحث الثالث: تحليل الملامح الشخصية والعلميّة لمحمود محمد شاكر.

الفصل الأول:معالم درس الإعجاز عند محمود محمد شاكر"تأصيل درس الإعجاز".

وفيه ثلاثة مباحث: **المبحث الأول:** مصطلح إعجاز القرآن عند محمود شاكر.

المبحث الثاني: تاريخ مصطلح الإعجاز عند محمود شاكر.

المبحث الثالث: علاقة الإعجاز بالعرب والشعر الجاهلي عند محمود شاكر.

الفصل الثاني: إشكالية بيان وجوه الإعجاز عند محمود شاكر.

وفيه أربعة مباحث: **المبحث الأول:** صفة الكلام عند الفرق الإسلامية.

المبحث الثاني: القول بالصّرفة عند محمود شاكر.

المبحث الثالث: التذوق عند محمود شاكر.

المبحث الرابع: وجه الإعجاز عند محمود شاكر وموقفه من الوجوه الأخرى.

الفصل الثالث: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والعلماء.

وفيه أربعة مباحث: **المبحث الأول:** إعجاز القرآن بين محمود شاكر والجاحظ.

المبحث الثاني: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والخطابي.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والباقلاني.

المبحث الرابع: إعجاز القرآن بين محمود شاكر ومالك بن نبي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة: وقد ضمنتها أهم نتائج البحث وبعض التوصيات.

هذه هي خطة البحث التي أرجو من خلالها الوصول إلى أهداف البحث، بالإضافة إلى وضع مخلص للبحث باللُّغتين العربية والإنجليزية، ثم أوردت فهارسَ للبحث.

مصادر ومراجع البحث:

إنّ إنجاز هذا البحث العلمي ألزمي بالرجوع إلى مصادرَ ومراجعَ متنوعةٍ، سواء كانت للمؤلف نفسه، أو لغيره من العلماء، وسواء كانت دائرةً في فلك إعجاز القرآن والدراسات البيانية أو في غيرها، لذلك جاءت مصادر البحث ومراجعه متنوعة على النحو الآتـــي:

1- كتبٌ في التفسير: مثل تفسير الطبري، وابن كثير.

3- كتبٌ في التراجم والسير: مثل كتاب سير أعْلام النبلاء، ، والأَعلام، وغيرها.

4- كتبٌ في العقيدة والفرق: كالمغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي، الفرق والجماعات والمذاهب الإسلاميّة وغيرها.

5- المعاجم والكتب اللُّغوية: كمعجم مقاييس اللُّغة، والقاموس المحيط، وغيرهما.

6- كتب في التأريخ والسيرة: مثل البداية والنهاية، والسيرة الحلبية، وغيرهما.

7- كذلك بعض المجلات المتنوعة والرسائل الجامعية.

هذه هي أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها في إنجاز هذا البحث، وقد كان مقدار الاقتباس منها متفاوتا بحسب ما اقتضته حاجة البحث.

صعوبات البحث:

لا شكَّ أن لكلّ بحث صعوبات تعتريه، تارة تكون شخصية، وأخرى تكون علمية، فأمّا الشخصية فلا داعي لذكرها هنا، أما العلمية فكثيرةٌ، أهمها:

1- قلة الباع العلمي من جهة، وقلة التمرس على البحث العلمي.

2- صعوبة جمع المادة العلمية لمحمود شاكر، لا لكونها غير متوفرة، ولكن لأن محمود شاكر من الذين يسترسلون في الكلام على مثل صنيع الجاحظ، فكثيرا ما يذكر كلمات علمية متينة ضمن كلام قد يظن قارئه أنه لا علاقة له بالموضوع، فإذا تأمله وجده من صُلبه، وأحينا أخرى يذكر فوائد مهمة لكنه يذكرها ضمن حاشية كتاب، فيصعب استخراجها.

3- صعوبة الوقوف على كثير من الدراسات التي تناولت شخصية محمود شاكر، مما أعلم أنه سيكون له أثرا في ظهور بعض النقص في الرِّسالة.

وفي الختام أحمد الله وأثني عليه الثناء الحسن أن وفقني إلى إعداد هذا البحث وإتمامه، كما أوجهُ شكري الجزيل إلى شيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور بحقٍ: رابح دوب الذي من أراد أن يُغضي عن محاسنه لم تجبه عيناه، أو أراد أن يسكت عن فضائله تنكَّر له لسانه وشفتاه، أكرمْ به وأنعمْ من أستاذ، فقد تحمل عناء ومشقة طالبٍ مبتدئٍ في البحث العلمي، أسأل الله ﷻ أن يبارك في علمه وعمله، وأن يجعله هاديا مهديا.

كما لا يفوتني أن أشكر إدارة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، ممثلة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية-قسم اللغة العربية-، التي اعترف لها بالفضل من ليس منها، فكيف بمن نشأ فيها وترعرع، و كما لا يفوتني أن أشكر أيضا أساتذتي الأفاضل الأكارم: أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من جهد قراءة البحث، ورصد الملاحظات والتصويبات، التي أسأل الله أن ينفعني بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتهم.

بحمد الله.

مدخل:

ترجمة محمود محمد شاكر

المبحث الأول:

الحياة الشّخصية للأستاذ محمود شاكر.

المبحث الثاني:

الحياة العلمية للأستاذ محمود شاكر.

المبحث الثالث:

تحليل الملامح الشخصية والعلمية لمحمود محمد شاكر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الحياة الشخصية لمحمود محمد شاكر.

المطلب الأول: اسمه وكنيته وولادته ووفاته.

أولا: اسمه:

هو الأستاذ الكبير، والأديب الشهير محمود محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر من أسرة أبـــي العلياء من أشراف "جَرْجَا" بصعيد مصر، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[1].

ثانيا: كنيته.

المشهور أن كنيته "أبو فهر"، وهي التي عرف بها وعرفت عنه، لكن قد جاء عـــن ابـــن أخيه أسامة أحمد شاكر أن والده محمد شاكر كنَّاه بـــ:"أبي الأسعاد"[2].

ولعله إنما غيَّـــر كنيتَه حين رُزق بِـــكْره الذي أسماه "فهرا"، ثم صارت هذه الكنية هي الأشهر والأغلب.

ثالثا: ولادته.

ولد محمود محمد شاكر بالإسكندرية الساعة السادسة العربية من ليلة عاشوراء المحرم سنة 1327 من الهجرة النبوية، الموافق للساعة الثانية عشرة الإفرنجية سنة 1909 مـــن الـــسنة الميلادية[3].

---

1 – من أعلام العصر، تأليف: أسامة أحمد شاكر، ط1، سنة: 1422هـ / 2001 م، ص 73.

2 – المصدر السابق، ص 69.

3 – المصدر نفسه، ص69.

رابعا: وفاته

بعد عمر مليء بالخير والعطاء، والكتابة والتحقيق، والدفاع عن حياض الدين والعربية، انتقل أستاذنا محمود محمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جوار ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم الخميس 3ربيع الثاني 1418هـ الموافق لـ 7 أغسطس 1997م[1]*.

المطلب الثاني: أسرته.

لقد نشأ محمود شاكر في عِطْف أسرة نبيلة معروفة بالفضل والعلم والدين، كما هي مشهورة في الفضل والنسب، فلا شك أنه سيكون لذلك الأثر البالغ في حياته العلمية بَعْدُ:

فوالده هو: « الإمام الجليل والنابغة العظيم والكاتب القدير والشاعر الملهم، والسياسي الخطير، وزعيم العلماء مجدد مجد الأزهر العالم العلامة السيد الشريف **محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر بن عد الوارث**، من آل أبي العلياء أسرة كريمة معروفة، من أشرف الأسر و أكرمها بمدينة "جَرْجَا".

ولد بها في منتصف شوال 1282هـ / مارس 1865م، و حفظ بها القرآن، وتلقى مبادئ التعليم، ثم رحل إلى القاهرة إلى الأزهر الشريف، فتلقى العلم عن كبار الشيوخ في ذلك العهد، ثم صار أمينا للفتوى ،مع أستاذه العظيم الشيخ العباسي المهدي، وأصهر إلى جدي لأمي العلامة الكبير إمام العربية غير مُدَافَع العارف بالله الشيخ: هارون بن عبد الرزاق.

ولِيَ منصبَ نائبِ محكمة مديرية "القَلْيُوبيَّة"، ومكث فيها نحو سبع سنين إلى أن صار قاضيا لقضاء السودان في سنة 1317هـ؛ ثم عُيَّن في سنة 1322هـ: شيخا لعلماء الإسكندرية، واستغلّ فرصة إنشاء الجمعية التشريعية، فسعى إلى أن صار عضوا فيها مُعَيَّنًا

---

1 - من أعلام العصر، لأسامة أحمد شاكر، ص 78.

* وقد قامت مجلة"الأدب الإسلامي" في المجلد الرابع.العدد السادس عشر، ربيع الآخر/جمادى الأولى/جمادى الآخرة: 1418هـ بتخصيص هذا العدد للأستاذ شاكر، تحت عنوان: الأستاذ محمود محمد شاكر فارس التراث.فمن رام الاستزادة فليراجع المجلة.

من قِـــبل الحكومة المصرية، وبذلك ترك المناصب الرسمية، وأبى أن يعود إلى شـــيء منـــها، وفضـــل أن يعيش حر الرأي والعمل.

له من المؤلفات: "الإيضاح لمتن إيساغوجي" في المنطق، و "الدروس الأوليـــة في العقائـــد الدينية"، و "من الحماية إلى السيادة"، و "القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم".

ومنذ بضع سنين اعتزل الدنيا فأقعده المرض في المنزل، بل ألزمه الفراش إذ أصابه الفـــالج، فاحتمله صابرا محتسبا حتى أتاه اليقين من ربه؛ وكان ذلـــك في القـــاهرة عـــام1358هـ /1939م»[1].

وشقيقه هو: «محدث مصر في زمانه الأسد الضرغام الباحث البارع العارف بفقه الحديث ومعانيه ورجاله الدقيق الاستنباط، نادرة عصره **أحمد محمد شاكر**، ولد بمنزل أبيه بـــ:"دَرْب الإِنْسيَّة" بقسم: "الدرْب الأحمر" بالقاهرة؛ فجر الجمعة (29 جمـــادى الآخـــرة ســـنة 1309هـ، الموفق لـــ: 29 يناير 1892م)، نشأ في أسرة علمية وافرة الضلال، فعبَّ من علوم والده محمد شاكر ونهل، ثم أخذ عن أكابر جهابذة العصر من المحدثين والفقهاء وعلماء العربية والأدب، وجدَّ في تحصيل العلوم فَلَـــمع نجمه في مقتبل شبابه وبرَّز على أقرانه ومهر في علم الحديث.

تُوفي رَحِمَهُ اللَّهُ صباح السبت 26ذي القعدة 1377هـ الموافق لـــ 14 يونيه 1958م».[2]

وجده لأمه هو: «هارون **عبد الرازق بن حسن بن أبي زيد** البنجاوي الأزهري، وهـــو العالم الجليل الشيخ، فاضل مصري؛ شيخ رواق الصعايدة بالأزهر، وأحد أعـــضاء المجلـــس

---

1 - وينظر ترجمة موسعة لابنه أحمد شاكر في مقدمة: "الجامع الصحيح للترمذي (سنن الترمذي)"، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، بتحقيق وشرح: أحمد شاكر، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، ســـنة: 1398هـ / 1978م، ج1ص92-96.

الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15: أيار / مايو 2002 م، ج6 ص156.

2 - الأعلام للزركلي، ج1 ص253،

• وينظر ترجمة موسعة له في: الصبح السافر في حياة العلامة أحمد شاكر، رجب عبد المقصود، مكتبة ابن كـــثير - الكويت-، ط1، سنة: 1414هـ / 1994م.

الأعلى، جدُّ المحقق الكبير الأستاذ عبد السلام هارون، ولد في بلدة "بنجا" بالـــصعيد عـــام (1249هـ-1823م)، وتعلم بالأزهر، فكان شيخ رواق الصعايدة فيه، ثم من أعضاء مجلسه الأعلى، عُيِّـــن مدرسا للعربية بمدرسة "المهند سخانه"، وبالمدارس التجهيزية، وساعد علي مبارك باشا في تأليف كتابه: "الخطط التوفيقية"، وألَّف: "حسن الصياغة في فنون البلاغة - مطبوع"، و"عنوان الظرف في علم الصرف - مطبوع"، و"المبادئ النافعـــة في تـــصحيح المطالعة - مطبوع". وتوفي رحمه الله بالقاهرة: 1336 هـ - 1918 م ».[1]

1 - الأعلام للزركلي، ج8ص61، وأيضا معجم محمود شاكر، إعداد :منذر محمد ســـعيد أبـــو شـــعر، المكتـــب الإسلامي- بيروت- لبنان، ط2، سنة: 1428هـ/2007م، ص 7.

المبحث الثاني: الحياة العلمية للشيخ محمود محمد شاكر.

إنّ عظمة محمود شاكر رحمه الله لم تكن لتأتي من فراغ، ولا عن خمول وكسل، بل لا بد أن تنجم عن حياة علمية مليئة بالجد والاجتهاد في التعلم والتحصيل، والبحث والتنقيب، وقد كانت نشأة شاكر العلمية، مترددة بين التعليم النظامي والتعليم الحر، مع ، مما جعل من محمود شاكر ذلك العَلَم المتميز البعيد الشأو، وسأحاول من خلال هذا المبحث أن أظهر حية شاكر العلمية، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: نشأته العلمية.

أولا: التعليم النظامي.

«حين بلغ محمود السابعة دفع به والده إلى مدرسة: " أم عباس سنة" في القاهرة عام 1916م، وقد كان لها أثر في نفسه، حيث فُتن باللغة الإنجليزية، فنَفَر من العربية حتى سقط في شهادة الابتدائية، وكان قويا في كل المواد عدا العربية، فأصبح في سنة الإعادة كارها للدروس المعادة عليه، فالتفت إلى العربية، وكان لديه الوقت ليَرُود مجالس الثقافة ويستمع إلى الخطباء، وطفق يقرأ ديوان "المتنبي" حتى حفظه، فأُولع بالعربية، فكان ذلك مبتدأ ثقافته الثرَّة بها، ثمّ التحق بـ:"مدرسة القِرَبيَّة" بـ:"درب الجماميز" سنة 1919م.

ثم التحق بـ:"المدرسة الخَدِيوِيَّة" الثانوية سنة 1921م، وشُغف بمادة "الرياضيات"، فاتجه إلى القسم العلمي لأجلها، وفي بداية سنة 1922م، أتم حفظ القرآن الكريم[1] -، وحصل على البكالوريا القسم العلمي منها سنة 1927م.

ولما أراد الالتحاق بكلية الآداب، كان مدير الجامعة آنذاك يرى أن لا حق لحامل الباكالوريا من القسم العلمي في الالتحاق بالكليات الأدبية، فتوسط لديه الأستاذ

1 - معجم محمود شاكر، ص7.

طه حسين مزكِّـــيا، فكان ذلك وراء قبوله بالكلية[1].

ثم التحق بكلية الآداب بالجامعة المصرية، قسم اللغة العربية، واستمر بها حتى السنة الثانية نتيجةً لخلافه مع أستاذه طه حسين؛ حول مفهوم منهج دراسة الشعر الجاهلي، وترتب على ذلك تركه للجامعة دون إتمام الدراسة»[2].

ثانيا: التعليم الحر.

لقد جرى محمود شاكر على عادة كثير من أهل العلم، في أخذ العلم في المساجد وبيوت العلم، فقد بدأ بأخذ العلم في بيت أبيه محمد؛ وقد كان عالما متمكنا، حيث درَّســه مــع إخوانِــه جُملا من العلوم في التفسير والسُّنن، وغيرها من العلوم الشرعية، يقول محمــود شاكر، وهو يترجم لشقيقه الأكبر أحمد شاكر: «فقرأ له ولإخوانه التفسير مرتين؛ مــرة في تفسير البغوي، وأخرى في تفسير النسفي، وقرأ لهم صحيح مــسلم، وســنن الترمــذي، والشمائل، وبعض صحيح البخاري، وقرأ لهم في المنطق: شرح الخبيصي، وشرح القطــب على الشمسية، وقرأ لهم في البيان الرسالة البيانية، وقــرأ لهــم في فقــه الحنفيــة كتــاب الهداية...»[3].

كذلك وفي بيته أخذ عن أخيه أحمد شاكر يقول الأستاذ عنه في مقدمة تفسير الطبري، لما عزم على إخراج تفسير الطبري في طبعة مجــوّدة: « وأفضيت بما في نفسي إلى أخي الأكبر السيد أحمد محمد شاكر- أطال الله بقاءه، وأقبسني من علمه- ...وكم له من يد لا أملــك جزاءها، عند الله جزاؤها وجزاء كلّ معروف، وحسبه من معروف أنه سدد خطاي صغيرا، وأعانني كبيرا »[4].

1- معجم محمود شاكر، ص7-8.

2- من أعلام العصر، ص 69-70.

3- مجلة **«المجلة»**، المجلد الثاني، العدد: التاسع عشر، سنة: 1377هـ/1958م، تصدر بالقاهرة، مقال بعنوان"المحدث أحمد محمد شاكر". ص 119.

4- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف : محمد بن جرير ، أبو جعفر الطبري (المتوفى : 310هـ)، حققه وعلق على حواشيه:محمود محمد شاكر، وراجعه وخرج أحاديثه: محمود محمد شاكر، مكتبــة ابــن تيميــة، القــاهرة: ط2 ، ج1ص12.

وفي عام 1922م، بدأ بالتلمذة على الشيخ العلامة :**سيد بن علي المرصفي**[1]، **فحضر دروسه التي كان يلقيها بعد الظهر في جامع السلطان برقوق**، فقرأ عليه "الكامل" للإمام محمد بن يزيد المبرِّد (210هـ/285هـ)، و"حماسة" أبي تمام بن أوس الطائي (188هـ/231هـ)، وشيئا من "أمالي" القالي إسماعيل بن القاسم (288هـ/356هـ)، وبعض شعراء الهذليين، وكان للشيخ المرصفي طريقة في تذوق الشعر، استولت على لبِّ شاكر، ودفعته إلى الإيغال في هذا الشعر وتقصي نوادره[2] .

واستمرت صلته بالشيخ المرصفي إلى أن توفي رحمه الله »[3].

• كما تعرَّف على الدكتور طه حسين[4] ، والذي كان بدوره يتردد أيضا على الشيخ المرصفي للقراءة عليه، وكان الدكتور طه في نحو الخامسة والثلاثين[5].

•«كما عرف الشيخ السياسيين والعلماء الذين كانوا يترددون على والده، كما اتصل مباشرة بعلماء العصر أمثال: محب الدين الخطيب[6]، أحمد تيمور باشا[7]، الشيخ

1- عالم بالأدب واللغة، مصري، كان من جماعة كبار العلماء في الأزهر، وتولى تدريس اللغة فيه إلى أن نالت منه الشيخوخة، وكسرت ساقه، فاعتكف في منزله بالقاهرة، وأقبل عليه طلاب الأدب، فكان يعقد لهم حلقات للدرس، إلى أن توفي رحمه الله 1349هـ- 1931 م). ينظر ترجمته في الأعلام للزركلي، ج 3 ص147.

2- آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية، إعداد: محاسن بنت أحمد محمود مولوي قربان، إشراف: عليان بن محمد الحازمي متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير جامعة أم القرى العام الدراسي 1429هـ/1430هـ ، ص18.

3- من أعلام العصر، ص 69.

4- طه بن حسين بن علي بن سلامة، (1307هـ – 1393 هـ / 1889 م – 1973 م): الدكتور في الأدب: من كبار المحاضرين. جدد مناهج، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي. الأعلام للزركلي، ج3ص231.

5- معجم محمود شاكر، ص7.

6- محب الدين بن أبي الفتح محمد ابن عبد القادر بن صالح الخطيب، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني: من كبار الكُتَّاب الإسلاميين. ولد في دمشق (1303هـ/1886م). وتعلم بها، أصدر مجلتيه "الزهراء" و "الفتح" وكان من أوائل مؤسسي "جمعية الشبان المسلمين". وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها، فأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها.توفي رحمه الله سنة:(1389هـ /1969 م)، الأعلام للزركلي، ج5 ص281-282.

7 - أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور (1288هـ/1871م): عالم بالأدب، باحث، مؤرخ مصري، من أعضاء المجمع العلمي العربي، مولده ووفاته بالقاهرة.من بيت فضل ووجاهة. كرديُّ الأصل، تلقى مبادئ العلوم في مدرسة فرنسية، وأخذ الأدب عن علماء عصره، وجمع مكتبة قيمة. وكان رضي النفس، كريمها، متواضعا، فيه انقباض عن الناس، =

محمد الخِضْر حسين[1]، الشيخ إبراهيم أُطْفَيِّش[2]، محمد أمين خانجي[3]؛ وغيرهم.

•كما تعرَّف إلى الشاعر أحمد شوقي[4]، وكان يلتقي به في الأماكن العامة التي كان الشاعر الكبير يتردد عليها.

•وكما راسل الأستاذ مصطفى الرافعي[5] منذ سنة 1921م، وهو طالب في السنة الأولى الثانوية، طالبا للعلم واتصلت المعرفة بينهما، وكانت بينهما علاقة حميمة هي شيء من الصداقة والتلمذة وظلت هذه الصلة وثيقة إلى وفاة الرافعي سنة 1356هـ/1937م، فحزن عليه حزنا شديدا.

=

كانت له مكتبة حافلة ونقلت مكتبته بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية، وهي نحو 18 ألف مجلد، توفي ﷺ (1348هـ/1930 م)، الأعلام للزركلي، ج1ص 100-101.

[1] - محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي: (1293هـ/1876م) - عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر، ولد في نفطة "من بلاد تونس" وانتقل إلى تونس مع أبيه سنة 1306هـ وتخرج بجامع الزيتونة، وزار الجزائر ثلاث مرات، ويقال: أصله منها.

وتوفي ﷺ بالقاهرة(1377هـ/1958 م)، الأعلام للزركلي، ج6 ص113-114.

2- إبراهيم (أو محمد إبراهيم) بن محمد إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق أطفيش (1305هـ/1888م): أديب من علماء الإباضية. ولد في قرية بني يسجن "بوادي ميزاب في الجزائر" وقرأ الفقه والنحو والتفسير، بعد حفظ القرآن الكريم، على شيخه عم والده الشيخ محمد يوسف، ولازمه إلى أن توفي سنة 1332هـ، فانتقل إلى تونس وحضر دروسا في جامع الزيتونة. وكان مرجعا للفتوى في المذهب الإباضي عند المشارقة والمغاربة. وتوفي ﷺ بالقاهرة سنة: (1385 هـ/ 1965 م)، الأعلام للزركلي، ج1 ص73-74.

3 - محمد أمين بن عبد العزيز الخانجي: كُتُبِيٌّ، عالم بالمخطوطات وأماكن وجودها، نشر 378 كتابا ورسالة، ولد في حلب سنة: (1282هـ/1865م)، وعمل كاتبا في ديوان ولايتها، ونسخ بعض الكتب فأولع بالمخطوطات. انتقل إلى القاهرة سنة 1885م، فأنشأ فيها "مكتبة الخانجي"، توفي ﷺ سنة: (1358هـ/1939 م)، الأعلام للزركلي، ج6 ص43-44.

4- أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي (1285هـ/1868م): أشهر شعراء العصر الأخير، يلقب بأمير الشعراء مولده ووفاته بالقاهرة (1351هـ/1932 م)، الأعلام للزركلي ج1 ص 136-137.

5 - مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي: ولد عام (1298هـ/ 1881م) عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، شعره نقي الديباجة، على جفاف في أكثره. ونثره من الطراز الأول توفي ﷺ: (1356 هـ/1937 م)، الأعلام للزركلي، ج7 ص 235.

• وكانت بينه وبين العقاد[1] صحبة وصداقة عميقة بعد ذلك»[2].

المطلب الثاني: آثاره العلمية.

لقد مضت السنة عند العلماء أن تبقى آثارهم شاهدة عليهم من خلفهم، تكون كالمرآة تحكي أرواحهم وتبقي ذكرهم في العالمين، يرزقون بها لسان الصدق في أممهم، فكان من العلماء من يتقن التأليف، فيجتهد في تخليد علمه بها، ومنهم من يُفتح له في التدريس فيُخلف تلاميذ هم الصلة بين علم شيخهم ومن خلفهم، وقد كان محمود شاكر ممن فُتح له البابان كرامة من الله له، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

أولا: تلاميذه.

كان محمود شاكر رحمه الله رجلا معطاء، يَجُود بكل ما يملك في سبيل نشر العلم في أمته التي انتابها من الأمور والأهوال الشيء الذي تشيب له مفارق الرؤوس، فبذل الأستاذ وبذل عساه أن يكون قد قام بما يجب عليه تجاه أمته - وكذلك فعل رحمه الله -، فكان من أعظم عطاءاته تعليم أبناء الأمة، يقول تلميذه محمود الطَّنَاحي رحمه الله كاشفا عن هذه الحقيقة: «وأقول بكل اطمئنان: إنه لم يحظ أحد من الأدباء الكبار المعاصرين بمعشار ما حظي به محمود محمد شاكر، من الالتفاف حوله، والأخذ عنه، والتأثر به؛ طوائف من الناس من مختلف البلدان والأعمار والانتماءات، ضمهم هذا البيت الجامعة ...»[3].

---

1 - عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد(1306هـ/1889م): إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع. أصله من دمياط، انتقل أسلافه إلى المحلة الكبرى، وكان أحدهم يعمل في "عقادة" الحرير، فعرف بالعقاد، انقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأقبل الناس على ما ينشر، وكان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة "دمشق والقاهرة وبغداد". توفي سنة:(1383هـ/1964 م)، الأعلام للزركلي، ج3 ص266.

2 - من أعلام العصر، ص74.

3 - في اللغة والأدب بحوث ودراسات، تأليف: الأستاذ محمود محمد الطناحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان- ، ط: 2002م، ج1ص230.

وقال ابن أخيه أسامة أحمد شاكر: « بدأت أجيال من دَارسي التراث العربي والمعنيين بالثقافة الإسلامية، من كافة أرجاء العالم يختلفون إلى بيته، ويترددون على مجالسه العلمية، يأخذون عنه ويفيدون من علمه ومكتبته الحافلة التي يَسَّرها للدارسين والباحثين»[1].

لأجل هذا فإنه لا يمكن إحصاء طلبة الشيخ وتلاميذه، ولكن لا يمنعنا ذلك من ذكر بعضهم، من المشهورين في سماء الأدب وتحقيق التراث، والذين ذكروا تتلمذهم على يد الأستاذ شاكر رحمه الله، فمنهم:

• الأستاذ محمود محمد الطناحي (1935م- 1999م): من طلبة شاكر المتميزين، شغل مناصب كثيرة، كان منها أن عُيّن خبيرا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وبمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، وعضوا بالهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، ورئيسا لقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب- جامعة حلوان[2].

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء 6 ذي الحجة 1419هـ الموافق لـ 23 مارس 1999م.

• الدكتور عادل سليمان جمال، وقد ذكر تتلمذه على الشيخ فقال:« فقد لزمته أربعين عاما أعطاني فيها بغير حساب، شأني في ذلك شأن غيري من طلاب العلم الذين كانوا يختلفون على داره من شتى أنحاء العالم العربي»[3].

• الدكتور عبد القدوس أبو صالح وقد ذكر انه استفاد من شاكر كثير وبخاصة في منهج التحقيق، إذ يقول: « عرفت العلامة الكبير الأستاذ محمد شاكر رحمه الله منذ أكثر من ثلاثين سنة، في مستهل دراستي في كلية الآداب القاهرة لنيل درجة "الماجستير"، وامتدت هذه الصلة إلى مرحلة "الدكتوراه"...واستمرت صلتي بشيخي الجليل إلى ما بعد مرحلة الدكتوراه...وهو الذي أفتخر بتخرجي عليه في منهج التحقيق»[4].

---

1 - من أعلام العصر، ص77.

2 - ينظر ترجمته في طُـرَّة كتاب "اللغة والأدب دراسات وبحوث"، ج1/ص 7.

3 – اعصفي يا رياح، وقصائد أخرى، تأليف: محمود محمد شاكر، جمع وتحقيق: الدكتور فهر محمود محمد شاكر، شرح وتقديم: الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة- مصر-، ط1، سنة: 1422هـ-2000م، ص 7.

4 - مجلة الأدب الإسلامي، العدد السادس عشر، ص 9.

إذن فتلاميذه لا يعدون كثرةً، منهم: « الأستاذ الكبير فتحي رضوان، و الدكتور ناصـــر الدين الأسد، إحسان عباس، الدكتور شاكر الفحّام، الأستاذ أحمد راتب النفّاخ، الـــدكتور يوسف نجم...»[1].

ثانيا: كتاباته.

لقد أثمرت تلك السنين العديدة التي قضاها محمود شاكر مع العلم والجد في تحصيله، ثمارا دانية، تنوعت بين تأليف وتحقيق وتصحيح وتقديم، وسأحاول عرضها والتعريف بها علـــى وجه الإيجاز.

أ- مؤلفاته.

1- **المتنبي**، صدر لأول مرة في مجلة المقتطف مجلد 88: 1454 هـ - 1936 م على شكل مقالات متفرقة ،و نشر بها في عدد خاص عام 1936م،، ثم جُمع وطُـــبع مرتين بإضافات نفيسة: طُـــبع في مجلدين في القاهرة سنة: 1977م، ثم طبع بمطبعة الخانجي بالقاهرة ســـنة: 1987م.

2- **أباطيل وأسمار** ،وهي جملة مقالات كتبها في الرد على لويس عـــوض، ثم أخرجهـــا في كتاب عام 1385هـ – 1386هـ /1965هـ، نُـــشر وطبع بجامعة الإمام محمد بن ســـعود الإسلامية، ثم قامت بطبعه مكتبة الخانجي طبعات عدّة آخرها سنة: 2005م.

3- **نمط صعب ونمط مخيف**، وهو سبع مقالات نقدية كان كتبها عام 1969م، نشرت في مجلة "المجلة" سنة:1969م-1970م، ثم أخرجها في كتاب عام 1416هـ – 1996م.

4- **برنامج طبقات فحول الشعراء**، وقد كتبه عام (1400هـ- 1980م) مبينا منهجه في التحقيق، ونشره ضمن كتاب طبقات فحول الشعراء مع العلم أن البرنامج لم ينشر في طبعتي الكتاب الأوليين، قامت بطبعه مطبعة المدني بالقاهرة سنة: 1980م.

---

1 – وقد ذكر الدكتور عادل سليمان جمال جملة ممن كان يقرأ على الشيخ في بيته، ينظر جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقدم لها: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي القاهرة، ط:2003م، ص6-7.

5- **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، وهو كتاب فكري صدر أول مرة مدرجا مع كتاب المتنبي في طبعة عام (1407هـ – 1987م)، ثم صدرت في كتاب مستقل في سلسلة "كتاب الهلال" بالقاهرة.

6- **قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام**، وأصل الكتاب محاضرة ألقاها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1975 م، ونشرت كتابا قُبيل موته بأشهر عام 1418هـ – 1997م.

7- **مداخل إعجاز القرآن**، وهي مقالات متفرقة ألف الأستاذ شاكر بينها في كتاب، وتردد في نشره فلم ينشر إلا بعد موته عام 1423هـ – 2002م، تحت إشراف ولده فهر.

8- **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**، جمعها الدكتور عادل سليمان جمال، وأصدرها عام 1424هـ- 2003م، وهي عبارة عن مقالات الأستاذ في مجلات متفرقة.

10- قصيدة القوس العذراء، طبعت أول مرة عام 1385 تقريبا -1965م، في مجلة "الكتاب"، وهي قصيدة واحدة طويلة، عارض بها قصيدة الصحابي الجليل الشمّاخ، ثم طُبعت بدار العروبة بالقاهرة سنة: 1964م، ثم أخيرا في مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة: 1972م.

11- ديوان اعصفي يا رياح وقصائد أخرى، جمعها ابنه فهر بعد وفاته، وشرحها وقدم لها الدكتور: عادل سليمان جمال، ونُشرت من قبل مطبعة المدني عام 1422هـ -2001م.

12- معجم محمود محمد شاكر، أعده منذر محمد سعيد أبو شعر، وقال عنه: « وبعد: فهذا "معجم الأستاذ محمود محمد شاكر"، لُحمته قراءة الأستاذ لكتب العربية، وسُداه مجموع مقالاته المختلفة...»[1].

ب- تحقيقاته.

وللأستاذ تحقيقات عظيمة على كتب متنوعة وهي :

1 – معجم الأستاذ محمود محمد شاكر، ص6، ومعه مجلة الأدب الإسلامي، العدد السادس عشر، ص7.

1- **فضل العطاء على اليسر**، لأبي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله سهل ت :395هـ، طُبع بالمطبعة السلفية سنة 1353هـ /1934م، وهي من أوائل ما أخرج من التـــراث، ولم يكن حينها قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره .

2- **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والمتاع**، لتقي الدين المقريزي (أحمد بن علي، ت : (845هـ)، طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر عام 1940 م، ولم يتمه.

3- **طبقات فحول الشعراء**، لمحمد ابن سلام الجمحي (ت :231هـ)، طُبع بدار المعـــارف سنة 1952م، ثمّ أعاد تحقيقه من جديد، ونشره بمطبعة المدني سنة 1974م.

4- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ،صدر منه ستة عشر مجلدا ما بين عامي 1374-1389هـ تقريبا، وقد اشترك مع أخيه في الثلاثة عشر مجلد الأولى، وانفرد بالثلاثة الأخيرة، وتمثل هذه الأجزاء نصف الكتاب تقريبا =انتهى إلى سورة إبراهيم الآية 27، ولم يتمه، وقد طبعته دار المعارف :1955م-1969م*.

5- **جمهرة نسب قريش** ،للزبير بن بكّار (ت :256هـ) الجـــزء الأول، طُبـــع بمكتبـــة دار العروبة، ولم يتمه .

6- **تهذيب الآثار وتفضيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار**، لأبي جعفر محمد بـــن جرير الطبري؛ صاحب التفسير في ست مجلدات، طبعته جامعة الإمام محمـــد بـــن ســـعود الإسلامية بالرياض عام 1402هـ.

7- **دلائل الإعجاز**، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت :474هـ) طُبع بمكتبة الخانجي 1984م.

---

* أريد هنا أن أنبه إلى شيء يغلط فيه كثير من الخاصة فضلا عن العامة، ألا وهو ظنّهم أن هذا التحقيق من عمل أخيه أحمد محمد شاكر، لأن أغلفة الأجزاء كُتب عليها "حققه وعلق على حواشيه: محمود محمد شاكر- راجعه وخرّج أحاديثه أحمد محمد شاكر"، لكن الحقيقة أن تخريج أحديث الطبري كله عمل خالص للأستاذ محمود شاكر، وإن كان قد رجع إلى أخيه في مواضع قليلة جدا، وإن أردت أن تعرف صدق هذا، فانظر إلى كتاب الطبري الآخر"**تهذيب الآثار**"، وهو عمل خالص للأستاذ محمود، فستجد أن المنهج واحد، والقلم واحد.نبه إلى ذلك الأستاذ محمود محمد الطناحي في كتابه: دراسات وبحوث في اللغة والأدب، ج1ص229، فراجعه غير مأمور.

8- أسرار البلاغة، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني صاحب دلائل الإعجاز، طبعتـــه مطبعة المدني طبعات متعددة.

9- تصحيح واستدراك لكتاب :ذيل زهر الآداب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، (ت :453هـ)، نشره :محمد أمين الخانجي 1353هـ/1935م.

10- المكافأة وحسن العقبى، لأحمد بن يوسف بن الدّاية الكاتب (ت :نحو 340هـ، طُبـــع بالمكتبة التجارية 1359هـ - 1940م.

ج- تقديماته على الكتب :

وله تقديمات لبعض الكتب، وهـــــي:

1- المعجزة القرآنية، للأستاذ مالك بن نبي، وهو كتاب معروف أعجب به شاكر إعجابا كبيرا، فقدم له بمقدمة هي إحدى مقالاته التي جمعها في كتابه مداخل إعجاز القرآن.

2- أساليب القرآن، لعبد الخالق عضيمة، والكتاب يعدّ موسوعة عملاقة، حتى ذكر شاكر في مقدمته على الكتاب أنه عمل لا تقوى عليه إلا جماعة، يقول محمود شاكر في مقدمته عن الكتاب: «فماذا يقول القائل في عمل قام به فرد واحد، لو قامت عليه جماعة لكـــان لهـــا مفخرة باقية؟»[1].

د- تعليقاته ومراجعاته وتصحيحاته.

و له كذلك تعليقات ومراجعات، وكذا تصحيحات على بعض الكتب، وهي:

1- كتاب الوحشيات، وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام الطائي (ت :231هـ)، حققه عبد العزيز اليمني وزاد في حواشيه محمود شاكر، طُبع في دار المعارف سنة 1970م.

2- شرح أشعار الهذليين، لأبي الحسين بن الحسين السكري (ت :275هـ)حققه عبد الستار أحمد فراج، وراجعه محمود شاكر، وطبعته مكتبة دار العروبة سنة 1965م .

1 - دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث القاهرة، د ت ط، ج1 ص3.

3ـ العرف الشَّذي شرح سنن الترمذي، تأليف: محمد أنو ابن معظم شاه الكشميري، طُبع بدار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان–، طبع عام 1425هـ*.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه.

لقد عرف كثيرون مكانة محمود شاكر الأدبية والعلمية، فلم يفتهم أن يسجلوا شهادتهم وتزكيتهم لهذا العلم الكبير، لذا أردت أن أورد جملة منها حتى لا يُهضم حق شاكر ميتا كما هُضم وهو حيٌّ.

• قال عنه شقيقه أبو الأشبال أحمد محمد شاكر رحمه الله: « لولا أنْ قوَّى من عزمي، وشدَّ من أزْري، أخي الأصغر، الأستاذ محمود محمد شاكر. وهو ـ فيما أعلم ـ خير من يستطيع أن يحمل هذا العبء، وأن يقوم بهذا العمل حقَّ القيام، أو قريبًا من ذلك. لا أعرف أحدًا غيرَه له أهلا، وما أريد أن أشهدَ لأخي أو أُثْنِيَ عليه، ولكني أقرّ بما أعلم، وأشهد بما أَسْتَيْقن»[1].

• ويقول عنه ابنه فهر: « محمود شاكر رحمه الله كعبة العلم ومنال الورّاد؛ علَمٌ فريد من أعلام عصره، لا يستطيع القلم أن يصف شموخه وعلة شأوه في العلم، فهو طود باذخ، وبحر فيَّاض من بحور العلم، ورِث عن أسلافه العرب علومهم، فاهتضمها جملة وتفصيلا، ثم فاقهم وبذّهم في كثير من الأمور»[2].

• قال **منذر محمد سعيد**:« والأستاذ محمود شاكر في قراءاته المتعددة لنصوص المتقدمين يقدم عالما بديعا متفردا...يفتح بوابات سنيي الزمن المتراكبة المُرْتَجة، بأسلوب سلس مبهر، فيأتي بأم اللفظ، وبيانه ـكما ورد في المعاجمـ، مضيفا إليه حرفا أو كلمة، فيكتسي المعنى لبوسا جديدا، ونمطا مختلفا، فتحس أن الكلمة له، تفجرت بدءا أضاة من بين يديه»[3].

---

* هذا الكتاب لم أجد من ذكره في أعمال الأستاذ شاكر، وقد وقفت عليه، وفي طُرَّة الكتاب مكتوب: تصحيح محمود شاكر، وربما يكون غير أستاذنا شاكر، لكن الذي جعلني أورده هنا أن هذا العمل من التحقيق والمراجعة والتصحيح صنعة محمود شاكر رحمه الله التي اختص بها، وعُرفت عنه.

1 – تفسير الطبري، ج1ص6.

2 – مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الرابع، العدد السادس عشر، ص 8.

3 – معجم محمود شاكر ص 5.

[• قال تلميذه الأديب **محمود الطناحي** رحمه الله: «وقـد كتـبت عـن محـمود شاكر كثيرا، وحاولت أن ألتمس وجوها من الوصف تنبئ عن حقيقة حاله، وكنون أمره، وغاية ما انتهيت إليه أن الرجل رزق عقل الشافعي، وعبقرية الخليل، ولسان ابن حزم، وجَلَـد ابن تيمية، بل إني رأيت أن ليس بينه وبين الجاحظ أحد في الكتابة والبيان ».

• قال **مالك بن نبي** رحمه الله:«لو وجد الجاحظ الآن...لترك مكانه عن طيب خاطر لمحمود محمد شاكر».

• قال **محمد مصطفى هدارة** :«قدرة محمود شاكر على الوصول إلى ضوال الشعر أعلـى من كل قدرة عرفناها في جيله وجيلنا ،ومن تلانا».

• قال **إحسان عباس** رحمه الله: «لقد تعلمت من محمود شاكر وعرفت من علمه الغزيـر أضعاف ما قرأته وسمعته قبل لقائه...،وكان لقائي به فاتحة عهد جديد لحياتي العلمية ،والميزة الكبرى فيه أنه ذو رأي عميق ،واطلاع واسع ،وليس هناك من هو أقدر منه علـى فـضح التفسيرات التي تزيف التاريخ والحقائق ...، وكان محمود ولا يزال يعتمد فهـم الأسـباب ويحسن ربط النتائج بها على نحو دقيق متفرد لم أجده عند غيره».

• قال **جابر عصفور**:«محمود محمد شاكر هو أعظم المحققين في القرن العشرين، وأعماله هي الأكثر حجة في مجال تحقيق التراث...، وأعتقد أن منهجه في التحقيق سـوف يـستمر العمل به والسير على نهجه لفترة طويلة، وأنفق فيه الجـهد والعمر غير منتظر لمكافـأة أو عرفان من أحد».

• قال **صلاح فضل**:«عرفنا عالمنا الجليل الراحل بما يقـرب من نصف قرن ،وقد ولّدت هذه المعرفة إعجابا مكينا ،وتقديرا وثيقا ،وأعتقد أن سـيرة الرجل ملئ بالمعالـم الهاديـة المعبرة ».

• قال **الطاهر مكي** :«هو نمط صعب من الرجال ،صعب غير ميسور أن يتكرر في زمن التوسط والتشابه ،وليست صعوبته من الضرب المدبب الشائك ،بل هي صعوبة الجد ومرارته ،دون تكلف وقُطوب»][1].

---

1 – هذه كلها كلمات في شاكر أوردها صاحب رسالة "محمود شاكر ومنهج التذوق في نقد التراث الأدبي - =

المبحث الثالث: تحليل الملامح الشخصيّة والعلميّة لمحمود محمد شاكر.

تمهيـد: لقد خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الخلقَ، وفرّق بينهم في خَلْقهم، وأخْلاقهم، والذي يمـــارس القراءة في كتب أهل العلم يجد أن طباع العالم تظهر في كتاباته، من لين وشـــدة، أو تجـــني وإنصاف يظهر كل ذلك من خلال السطور التي يَرْقمها العالم في كتبه.

ولقد لاحظت على الأستاذ شاكر طباعا جُبل عليها، وأخرى اكتسبها، فرأيـــت مـــن المناسب إفراد ذلك في مبحث خاص، حتى يمكن التعرف عليه بصورة واضحة، وحتى يقترب أكثر من قرَّاءه، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الـــملامح الشخصيَّة.

وبدأت بالملامح الشخصية، لأنها في الغالب ملامح جُبِـــل عليها الإنسان، ستدخل ولا شك في شخصيته دخولا، لا تستأذن فيه صاحبها وتظهر آثارها في آثاره جلية لكـــل ذي عينين، وسأذكر كلاما للأستاذ شاكر، ولغيره من بعض طلبته في وصف بعـــض الملامـــح الشخصية، ثمّ أذكر انعكاساتها على شخصية شاكر العلمية

يقول الأستاذ عن نفسه: «...إذْ كنت امرءا **ملولا**، وهو مما قضى الله أن أكونه، يسرع إليّ الملل فأطرح شيئا كثيرا أعلم عن أصحابه من السُّخف ما أعلم، فلا أقـــرأه ولا ألـــقي له بالا»[1].

وقال الدكتور عادل سليمان جمال في معرض حديثه عن تجربة الأستاذ الشعرية: «أمّا أكثـــر شعره، فقد استغرقته **تجربة حب مريرة** زادها فشلها وحشة وتفردا، وبلغ من عنف قساوتها

=

التأصيل والممارسة"، رسالة ماجستير، إعداد الطالب :باسم بلام، إشراف الأستاذ الدكتور :ربيع قريبع، نوقشت عام 2010م، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر-. وقد اجتهدت في الوقوف عليها فلم أوفق، إلا أن كلمة الطناحي ذكر جزءا منها في مجلة الأدب الإسلامي، العدد السادس عشر، ص152. .

1 – أباطيل وأسمار، ص 7.

-فيما استظهرته-، أن **حاول الانتحار**، وأرجح أن ذلك كان في أوائل سنة 1936م، قبل أن يكتب كتابه النفيس "المتنبي"»[1].

وقال عادل سليمان: « الذي زلزل كيان الأستاذ شاكر حادثان جليلان، أولهما **فساد حياة أمته من كل وجه**، وثانيهما **ابتلاؤه بخيانة من أحب***، وامتزج هذان الحادثـــان في نفـــسه وسريا في دمه وفي أنفاسه، واستقرا في غور عظامه»[2].

«ومن صفاته **الشدة والحدة والصرامة إلى حدّ الإيلام**، ولكن لا يستطيع أحد في جميع الظروف إنكار طيبته وبساطته وربما سذاجته، فغضبه الثائر يخفي تحتـــه روحـــا متـــسامحة، وغفرانا لا نهاية له، فهو كثيرا ما يتصاول مع جلسائه تصاول الأعداء، ثمّ يتفرقـــون تفـــرّق الأصدقاء»[3].

إن هذه النقول، يمكننا أن نقف من خلالها على أشياء من بعض ملامح الشخصية، وهي: "الملل- الشدة- الحدة - الصرامة إلى حدّ الإيلام - الغضب الثائر - روح المسامحة - ابـــتلاؤه بالخيانة - محنته في أمته-...".

هذه الخصال مجتمعة في شخص شاكر لابد أن يكون لها صـــورة في نَفَـــــسٍ شـــاكر العلمي، وسأذكر هنا أمثلة على ذلك:

أولا: الملل.

فهذا الملل مثلا يدخل على الأستاذ في بعض كتاباته، فيقطعه عنها، وأقرب مثال لـــذلك مقالاته التي كتبها في الإعجاز، وجمعت في كتابه الموسوم بـــ"مداخل إعجاز القرآن"، فإن الأستاذ وعد بالحديث عن مسائل مهمة في درس الإعجاز، ولكنه لم يعرض لها بعد،ولو فعل لكان خيرا عظيما في درس الإعجاز.

---

1 – ديوان اعصفي يا رياح وقصائد أخرى، ص 40

* وقد تحدث بإسهاب الدكتور عادل سليمان جمال على هذه الحادثة من حياة الأستاذ شاكر، ينظر ديوان اعصفي يا رياح وقصائد أخرى، من ص 47إلى ص 108.

2 – ديوان اعصفي يا رياح، ص 47.

3 – آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية، ص25.

وأحسب أن من الصوارف عن ذلك أمور وأمور، ولعلّ أهمها الملل وليس في هذا تنقص للأستاذ، فإن الملل طبع الإنسان قال ﷺ: «إن لكل عمل شرَّة و لكل شرَّة فترة ...»[1].

ثانيا: الشدّة والحدّة.

أما الشدّة والحدّة، فربما تظهر لنا من خلال حديث الأستاذ شاكر عن، المرأة الـــتي ذاق منها الخيانة كما أشرنا في تجربته العاطفية يقول الأستاذ شاكر: «إن الرقة والدَّعة والجمـــال ولين الخلق تخفي وراءها أحيانا قسوة لا تدانيها قسوة، كالذي يكون في النساء، فإنهن قـــد عُرفن بين الناس بالرقة، وهن أغلظ أكبادا من الإبل، وإن المرأة إذا ثارت لم يبلغ مبلغها من القسوة أقعد الوحوش في باب الوحشية ...»[2].

ثالثا: روح المسامحة.

هذه السمة التي عزّت في أهل العلم فضلا عن غيرهم، نجدها في شخص شاكر جلية، ففي أثناء رده على سيّد قطب لما كتب مقالته في الرد على الرافعي والدفاع عن العقاد، قام عليه شاكر قومة أسد حَـــرِبٍ، ذبا عن أستاذه الرافعي وأداء لحقه عليه، وكانت جواباته علمية رصينة، ثم قال شاكر في ختام مقالاته: « وليعلم الأستاذ قطب أنني أحببت لا أغلـــو، ولا أتجاوز حب الحبِّ الذي يصل القلب بالقلب، ويمدُّ الروح بالروح»[3].

رابعا: محنته في أمته العربية.

إن مما يعلي قدر الرجل أن يعيش، لا لنفسه وإنما يعيش لمبادئه ولأمته، وكـــذلك كـــان الأنبياء عليهم السلام، كانوا يحيون للناس، بل يموتون لأجل أن يؤمن الناس، ومحمـــود شـــاكر

---

1 – أخرجه أحـــمد في المسند من حديث عبد الله بن عمرو برقم 6764، ج11ص375، المسند تأليف: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت -لبنـــان-، ط2: 1420ه /1999 وأخرجـــه البيهقي في شعب الإيمان، باب القصد في العبادة برقم 3878، ج 3ص399، سنن البيهقي الكبرى تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا الناشر، مكتبة دار الباز –مكة المكرمـــة–، طبعة عام: 1414ه / 1994م.

والفترة: في الحديث الكسل، **والشرَّةُ:** النشاط.

2 – جمهرة المقالات، ج1ص57.

3 – المصدر نفسه،ج1 ص68.

رجل قضية ورجل أمة، قضية هي اللغة العربية، وأمَّةٌ هي أمَّةُ العرب والإسلام، عاش آمالها وآلامها، و لم ينافق طرفة عين في ذلك.

يقول رحمه الله : «إنما حملت أمانة هذا القلم لأصدع بالحق جهارا في غـــير جمجمـــة، ولا إدِّهان، ولو عرفتُ أني أعجز عن حمل هذه الأمانة بحقها لقذفت به إلى حيث يذلُّ العزيـــز ويمتهن الكريم.

...وقد جاء اليوم الذي لم يعُدْ يحلُّ فيه لامرئ حر أن يكتم قومه شيئا يعلم أنه الهـــدى، فمن كتمه في قلبه طوى جوانحه على جذوة من نار جهنم تعذبه في الدنيا، ويُلقـــى بهـــا في الآخرة أشدَّ العذاب.

... ولكنّي نذرت على هذا القلم أن لا يكفَّ عن القتال في سبيل العرب ما اســـتطعت أن أحمله بين أناملي»[1].

المطلب الثاني: الـــملامح العلميَّـة.

إنّ المراد بالملامح العلمية تلك الأوصاف التي كانت مرتسمة في الشخصية العلمية للأستاذ محمود شاكر، والتي تميّزه عن كثير من العلماء، وسأقتصر هنا على ذكر ما أراه مهما، ومـــا أراه قد ظهر ملمسه في كتابات الأستاذ ومواقفه دون استقصاء لذلك خشية أن يطول ذلك ولعل أهم ذلك:

أولا: أنّ بيان الأستاذ شاكر بالقلم أقوى منه بالمشافهة.

إنّ مما يميز شخصية الأستاذ شاكر العلمية، قوة بيانه وبراعته إذا كان متحدثا في العلـــم بقلمه دون المشافهة به، وهي الحقيقة التي صرّح بها هو نفسه إذ يقول:«فأنا لا أجد حـــريتي إلا مع القلم، فهو وحده الذي يستطيع أن يتحدث عن نفسي مُبِينًـــا عنها، غير مترددٍ ولا خائف، ولا متهيِّبٍ ولا متلجلجٍ.

أَلِفتُ هذه الحرية وأحببتها، حتى بطُل عمل لساني وشفتيَّ أو كاد، وصار القلم وحده هو لساني الذي أتحدث به إلى جموع الناس»[2].

---

1 - جمهرة مقالات محمود شاكر، ج1 ص 490.

2 – قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن ســـلَّام ص 5-6.

ثانيا: دراسة الشعر العربي.

ومما يميز الأستاذ كذلك، وبخاصة في دراسة الشعر العربي، تعمقه في ألفاظه وغوصه في معانيه، وله في ذلك جرأة عظيمة ترددت بين مَقْتين الخوف والتهور، والعجلة والإبطاء، وذلك لأن الشيخ كانت قوته العلمية قد استحكمت في نفسه، فأعطته تلك الخصال كلها.

فها هو الأستاذ شاكر يصف نفسه في هذا الميدان الذي صار فيه أفرس فرسانه غير مدافع، حيث يقول: «ثمّ لا أقنع في دراستي بأن أعاين سطح الشعر بلا تعمق، ولا أحس جثمان ألفاظه بلا خبرة، بل أغوص في الأعماق بلا تهيّب، وأتدسس في جثمان اللفظ بلا غفلة، وأصغي بوجودي كلّه نبض أنغامه في ألفاظه، وفي معانيه بلا فترة، ولا عجلة»[1].

ثالثا: لغة الأستاذ وبيانه.

أمّا عن بيانه ولغته فيقول تلميذه الطناحي: «أما البيان عند أبي فهر فحديثه طويل، وأسلوبه في الكتابة أسلوب عال تحدَّر من سلالة كريمة، ومداره على التذوق الذي واتاه بعد دربة طويلة متوارَثة، انطلقت من الشعر الجاهلي الذي هو أنبل كلام العرب وأشرفه، ثمّ استقرت عند القرآن الكريم، الذي هو البيان الإلهي الملفوظ، ...وأسلوب أبي فهر بعد ذلك أسلوب كاتب يحترم قارئه ويحبه، ويؤْنسه ويمتعه، ولا يتعالى عليه بالإغماض، ولا يُعَنِّتُه بالرَّمز والإشارة إلى ما لا تطوله يداه، ولا يستخفَّ به بالثرثرة وفضول الكلام»[2].

رابعا: إنصافه في الكتابة.

لا شك ألبته أن العلم الصحيح يهدي إلى الخلق المليح، والأستاذ شاكر قد نال من العلم ما هداه إلى الأخلاق القويمة، ولعلّ أعظم تلك الأخلاق وأعزها وجودا في العلماء فضلا عن غيرهم خلق الإنصاف والعدل، الذي أمر به الله ﷻ ورسوله ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا

1 – نمط صعب، ونمط مخيف، تأليف: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني مصر، ط1: 1411هـ/1996م، ص349.
2 – في اللغة والأدب مقالات وبحوث ، للطناحي، ج1ص230.

تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ المائدة: 8، وقال رسوله ﷺ :«إن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور على يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[1].

وها هو محمود شاكر يصف مكان هذا الخلق من نفسه فيقول: « وأنا أحبُّ أن يعلم من ليس يعلم أني حين أكتب أكتب عن صديقي وكأن ليس بيني وبينه سبب مودة، وأكتب عن عدوي وكأن ليس بيني وبينه دخان من غضب»[2]، و كأني بالأستاذ يحي تحت ظلال قولـــه ﷺ :« أحبب حبيبك هونا ما ، عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وأبغـــض بغيضك هونا ما ، عسى أن يكون حبيبك يوما ما »[3].

من خلال ما سبق من ذكر ملامح الأستاذ الشخصية والعلمية، يمكن لنا أن نتراءى صورة محمود شاكر التي انعكس في كتاباته، وينبغي لمن قرأ لشاكر أن يستحضر تلـــك الملامـــح، بحيث لا تكون غائبة عليه، حتى يستعين بذلك على تفهم كتاباته التي كان انبثاقها من تلك الملامح التي اجتمعت في الأستاذ لتتدخل في ما يقرأ وما يكتب، لتسوغ بعد ذلك ألفاظـــه ومعانيه التي طالما استحسنها القرّاء واستجادوها.

---

1 – أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ، برقم 1827، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، ج 6 ص451، والنسائي في الكبرى برقم: 5916، ج3، ص466، والبيهقي في الكـــبرى برقم: 19949 ج 10، ص87.

2 – جمهرة المقالات، ج1 ص129.

3 – وأخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض، برقم 1997، ج 4 ص360، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تأليف: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، بتحقيق وشرح: أحمد شاكر، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر، الطبعة الثانية: 1398هـ-1978م.، والطبري في تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار من حديث علي ﷺ، برقم 43، ج3 ص283، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، قرأه وخرّج أحاديثه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة – مصر-، طبعة 1402هـ-1982م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

لقد حدد الأستاذ شاكر منهجا خاصا في درس الإعجاز، اجتهد كثيرا في الوفاء به، والانضباط عليه خلال معالجته لموضوع إعجاز القرآن، وقد أشار إلى ذلك موضحا لجهده من خلال مقالاته في الإعجاز فقال هذا: « جُهْد مُقَّصرٍ يريد أن يكفِّر عن تقصيره في حق القرآن العظيم بهذه الكلمات القلائل، ضارعًا إلى الله سبحانه أن يُفسح في أيامي، ويُعِينني على متابعة القول في "**إعجاز القرآن" على وجه يمهِّد، إن شاء الله، لتأسيس علم خاص هو:"علم إعجاز القرآن" يضارع " علم البلاغة "**»[1]، وفي قوله أيضا: « ومعرفة معنى "إعجاز القرآن" ما هو؟ وكيف كان؟ أمر لا غنى عنه لمسلم ولا لدارس، **وشأنه أعظم من أن يتكلم فيه امرؤ بغير تثبُّتٍ من معناه، وتمكنٍ من تاريخه، وتتبع للآيات الدالة على حقيقته**».[2]

ثم ينطلق في تأصيله، وهو يُحذِّر من أمرين خطيرين في البحث عموما، وفي درس الإعجاز خصوصا، فيقول:

« لابدّ من الحذر من أمرين عظيمي الخطر على العقل والنظر، فكلاهما مطية الضلال عن الحق:

- **لابدّ من ترك الاستهانة بالفروق البيِّنة والخفية بين الألفاظ** التي نتوهم بطول الإلْف أنها تقع على معنى واحد وقوعا واحدا، وهو ما نسميه في اللغة "**المترادف**".
- **ولابدّ أيضا من الإقلاع عن إهمال تاريخ بعض هذه الألفاظ** المترادفة في أوهامنا، ثمّ التمسك بالحرص على متابعة البحث عن نشأتها متى نشأت؟ ولِمَ نشأت؟ وكيف نشأت؟...»[3]

---

1 – مداخل إعجاز القرآن، ص 10.

2 – المصدر نفسه، ص 156.

3 – المصدر نفسه، ص 123.

فمن خلال ما سبق يتضح أن شاكر رحمه الله حدد منهجه في دراسة الإعجاز وتحليله لمباحثه، ومسائله، ومعالم هذا المنهج، هي التي أحاول الكشف عنها في ثنايا هذا الفصل، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: مصطلح إعجاز القرآن عند محمود شاكر.

المبحث الثاني: تأريخ الإعجاز عند محمود شاكر.

المبحث الثالث: علاقة الإعجاز بالعرب والشعر الجاهلي عند محمود شاكر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مصطلح إعجاز القرآن عند محمود شاكر.

لَمَّـــا كان درس إعجاز القرآن الكريم غير محدد المعالم، ولا واضح المباحث أراد شاكر أن يُسهم في تنسيق الدرس، بـــبيان معالمه الشائكة، ومواضيعه الغامضة؛ حتى تظهر في الحلة اللائقة بها، ولعـــلّ أهم تلك المعالم التي تحتاج إلى بيان شاف وإيضاح كـــــاف؛ قـــضية: "**مصطلح الإعجاز**"، والعناية الفائقة لمحمود شاكر بالألفاظ اللغويّة قضيةٌ معلومةٌ*، فالرجل عنده حذر شديد من ألفاظ اللغة لاعتقاده أن غالب الخلل في العلوم إنما يتأتّى منها.

فها هو يقول عن هذه القضية: « والألفاظ خطرها شديد، وفتكُـــها بالفكر أشدُّ خطرًا، فمن أجل ذلك لا أملك التهاون في أمرها، ولا أستحله لنفسي، ولا لأحد غـــــــيري»[1]، وقال: «ولا يسعني إلا أن أتقيَ شـــرَّ الألفاظ، فإن الألفاظ المشتركة؛ أي التي تـــدلّ علـــى معان مختلفة باختلاف الناطقين بها، تُضلل النظر، وتَسُوق إلى مهاوي الخطأ، ثمّ الحيرة! »[2].

وسأحاول من خلال هذا المبحث معالجة قضية مصطلح الإعجاز من خـــلال المطالـــب الآتيـــــــــــــة:

المطلب الأول: لفظُ الإعجاز في القرآن والمعاجم اللغويّة.

المطلب الثاني: وقفات لمحمود شاكر حول مصطلح الإعجاز.

المطلب الثالث: التعريف الذي اختاره محمود شاكر للإعجاز.

---

* وقد صدر للأستاذ معجم باسم"معجم محمود شاكر" أعده منذر محمد سعيد أبو شعر، وهذا إنما يدل على إسهام الأستاذ في المعاجم اللغوية، زيادة، وتنقيحا، واستدراكا.

1 - نمط صعب ونمط مخيف، ص315.

2 - المصدر نفسه، ص 497.

المطلب الأول: لفظ الإعجاز في القرآن والمعاجم اللغوية.

لقد كان للفظ "الإعجاز" عند محمود شاكر العناية البالغة، وذلك أنه - فضلا عما أسلفت من موقف الأستاذ شاكر من الألفاظ-، فإن هذا اللّفظ استوقف شاكر كثيرًا، حتى وجدته يقول: « وقد كتب الله عليَّ أن أقف مع هذا اللفظ زمنا طويلا حائرا مترددا، وخائفا مُتَلدِدًا، وجزعا متحفظا، وكاتِمًا حَيْرتي عن قلمي ولساني، حتى تصرَّمت سنواتٌ، وأنا على شفا حفرة من النار، فأنقذني الله برحمته وفضله، وسَلِمتُ بحمده سبحانه بعد مخالطة العَطَب»[1].

وقد عدّ محمود شاكر رحمه الله هذا اللفظ من الألفاظ المحدثة التي لم تكن معروفة في القرون المفضلة الأُولى، ومع ذلك فإن أدب الأستاذ مع العلم والعلماء، جعله مُتهيِّبا من إزالة هذا المصطلح عن الدراسة العلمية، فيقول: « والألفاظ التي تستقرُّ في اللغة استقرارا شاملا مستفيضا يكون من الجهل والتهوُّر محاولة انتزاعِها و إسقاطها من أقلام الكتاب، ومن كتب العلماء قديما وحديثا»[2].

ولما كان إسقاط مثل هذه الألفاظ -مع كونها محدثة- أمرا غير مَيْسور ولا سائغ، فإن محمود شاكر يرى: «أنَّ الواجب الذي لا مرية فيه، هو محاولة تعريفها تعريفا مطابقا للحق الذي نراه لأن الذين وضعوها وكتبوها في كتبهم ومصنفاتهم، وضعوها وضعا مطابقا لحقٍ رَأوْه ...ومادام مجازُ اللغة قادرا على تعريف اللفظ تعريفا يرفع أسباب الاختلاف، ويسير بنا جميعا على طريق مستتبٍّ، فلا معنى لإبطال ما استقر عليه الكُتَّاب والعلماء من التعبير عن الجوهر المتفق عليه»[3].

وهذا الكلام فيه من الإنصاف والعدل القدر الكبير، يكشف على عبقرية شاكر رحمه الله في هذا المجال من جهة، وعن أخلاقه وأدبه العلمي من جهة أخرى.

---

1 - مداخل إعجاز القرآن،لشاكر، ص8.

2 - المصدر السابق، ص 18.

3 - المصدر نفسه، ص 18-19.

وتعزيزا لكلام شاكر نورد كلامًا للخالدي يقول فيه: « ولا يعني عدم ورود كلمتي "المعجزة" و"الإعجاز" في القرآن والسنة عدمَ جواز استخدامهما! على اعتبار أنهما بدعة ناشئة!!. يجوز استخدامهما، فنقول: هذه معجزة رسول الله ﷺ ، وإعجاز القرآن مستمر حتى قيام الساعة، يجوز ذلك للتقارب الكبير بين معنى المعجزة ومعاني الكلمات القرآنية، ولانطباق معانيها على معنى المعجزة، ومن المعلوم أنه لا مشاحة في الاصطلاح.

ومع جواز ذلك فإن الأولى استعمال المصطلح القرآني؛ لفضله وشرفه وإشراقه وحيويته، وتمام دلالته»[1].

وسأكشف عن معنى الإعجاز من خلال ما يأتي:

أولا: لفظ الإعجاز في القرآن الكريم.

لقد ورد لفظ"الإعجاز"؛ والذي يندرج في المعاجم اللغوية تحت مادة "**ع ج ز**" في القرآن الكريم في مواضع عِدَّة، وعلى تصريفاتٍ مختلفة:

- أما التصريفات فقد جاءت على النحو الآتي:

"**أعَجَزْتُ - أعْجَاز - عَجُوز - مُعجِز - مُعْجزين - مُعجزيْ - مُعاجِزين - نُعجِزه - نُعجز - يُعجزون - يُعجزُه**".

قال صلاح عبد الفتاح الخالدي: « والخلاصة أنّ مادة "العجز" في القرآن الكريم وردت ستا وعشرين مرة: في صيغة الفعل الماضي، والفعل المضارع، وصيغة المبالغة، وجمع "عَجُز"، واسم الفاعل من "عاجَزَ" بصورة جمع المذكر السالم، واسم الفاعل من "أعجز" بصورة المفرد، وبصورة جمع المذكر السالم»[2].

وأما إحصاؤها مرتبةً على ترتيب المصحف الكريم*، فهو على النحو التالي:

---

1 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للخالدي، تأليف: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار عمان-الأردن-، ط1: 1421هـ/2000م، ص23.

2 – المصدر نفسه: ص29.

* – وقد استعنت في ذلك بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة - مصر-، د ت ط، مادة "ع ج ز"، ص548.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ المائدة: 31.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ الأنعام: 134.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنفال: 59.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾ التوبة: 2.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ ﴾ التوبة: 3.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ يونس: 53.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾ هود: 20.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ هود: 33.

• قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ ﴾ هود: 72.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ النحل: 46.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾ الحج: 51.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ النور: 57.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ الشعراء: 171.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ العنكبوت: 22.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ سبأ:5.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سبأ: 38.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ فاطر: 44.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ الصافات: 135.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزمر: 51.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الشورى: 31.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الأحقاف: 32.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ الذاريات: 29.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ القمر: 20.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ الحاقة: 7.

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾ الجن: 12.

ثانيا: ملاحظات على لفظ الإعجاز في القرآن.

يمكننا بعد تأمل الآيات من القرآن الكريم التي ورد فيها لفظ الإعجاز أن نجعلها على قسمين اثنين بالنسبة لدرس إعجاز القرآن:

• **القسم الأول**: آيات لها علاقة قريبة من درس إعجاز القرآن، وذلك لمجيء أغلبها في سياق الحديث عن القرآن الكريم، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ يونس: 53. ونحوها

• **القسم الثاني**: آيات لها علاقة بعيدة نوعا ما من درس إعجاز القرآن لمجيئها على غير السياق الأول، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ الحاقة: 7، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ الذاريات: 29.

ولا شك أن الذي يهمُّنا من الآيات في بحثنا هذا ما كانت علاقته بدرس الإعجاز قريبة، وهذا القسم من الآيات البيِّنات إذا تدبرناه، فإننا نقف على أشياء مهمة منها:

• أننا في سياق هذه الآيات نلتمس معنى "التحدي".

• أن في سياقها كذلك يوجد ذكر للقرآن الكريم والإشادة به، فتارة يأتي سابقا، وأخرى يأتي لاحقا.

• « أنها واردة في سياق المعركة بين الحق والباطل، وأنها تقرر حقيقة عدم قدرة المخلوقات كلها على تعجيز الله، وأنها كلها عاجزة ضعيفة أمام قوة الله!»[1].

• أن الآيات التي ذكر فيها لفظ "الإعجاز" شملت السور المكية والمدنية على السواء، ولعلَّ في ذلك إشارة إلى أن العجز في العرب وغيرهم مستمر غير منقطع ولا مرفوع.

• « كان التحدي في الآيات لإثبات عجز الكفار عن الإتيان بالمطلوب، وإثبات العجز ليس هدفا بحد ذاته، وإنما هو وسيلة إلى الغاية السامية، وهي إثبات أن القرآن كلام الله سبحانه وأن محمدا رسول الله ﷺ، وإيمان الكفار بذلك، ودخولهم في الإسلام ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ﴾ القصص: 50 »[2].

• « جزم القرآن بعجزهم عن المعارضة تحد آخر لهم، ...وهذا الجزم بعجزهم عن المعارضة دليل آخر على مصدر القرآن، وأنه كلام الله، فلو كان القرآن من كلام الرسول ﷺ لما جزم بعجز من يتحداهم، لأنَّه لا يعلم مقدار طاقاتهم، ولو جزم بعجزهم فسيكذبونه في جزمه، ويقدمون له المطلوب!!.

إنه لا يجزم بعجزهم إلا الله رب العالمين، الذي يعلم قدراتهم وطاقاتهم، ويعلم أنهم سيعجزون عن ذلك »[3].

• أن العجز وُسم به الإنس والجن جميعا فقال ﷻ في الإنس: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ يونس: 53، وقال عن الجن ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ ﴾ الأحقاف: 32 .

---

1 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 25.

2 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للخالدي، ص 57.

3 – المصدر نفسه، ص57.

ثالثا: لفظ الإعجاز في المعاجم اللغوية.

إن المعاجم اللغوية دائرة في الكشف عن معنى مادة "ع ج ز" بين أصلين هما اللذان ذكرهما ابن فارس في مقاييس اللغة؛ فالأول: الضَّعف،

والآخر: مؤخَّر الشيء.

يقول ابن فارس: «"ع ج ز"*: العين والجيم والزاي أصلانِ صحيحان:

يدلُّ أحدُهما على الضَّعف، والآخر على مؤخَّر الشيء

• **فالأول**: عَجِزَ عن الشيء يعجز عَجْزاً، فهو عاجزٌ، أي ضَعيف، وقولهم إنّ العجزَ نقيضُ الحَزْم فمن هذا؛ ، ولن يُعجز لله تعالى شيء، أي لا يَعجِز الله تعالى عنه متى شاء.

• وأمَّا **الأصل الآخر**، فالعَجُز: مؤخَّر الشيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عَجُز الأمرِ، وأعجازُ الأمور. ويقولون: لا تَدَبَّرُوا أعجازَ أمورٍ ولَّتْ صدورُها»[1].

وقد زاد الفيروزابادي معنى للعجز مهم ألا وهو العجز بمعنى الفوت فقال: «وأعجزه الشيء : فاته و فلانا : وجده عاجزا وصيره عاجزا، والتعجيز : التثبيط والنسبة إلى العجز، ومعجزة النبي : ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة ...

معاجزين أي: يعاجزون الأنبياء وأولياءهم، يقاتلونهم ويمانعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله تعالى، أو معاندين مسابقين، أو ظانين أنهم يعجزوننا»[2].

---

* الجيم في لفظ "عجز" مثلثة، بالفتح والكسر والضم، وفي كل حركة لها معنى.

فبالفتح: تقول: عجَز، يعجَز عجْزاً. من باب ضرب يضرب، والمعنى: ضعُف عن الشيء و لم يقدر عليه.

وبالكسر: تقول عجِز، يعجِز عجزا. من باب شرِب يشرب. والمعنى: عظمت عجيزته، وكبرت مؤخرته.

وبالضم: تقول: عجُز، يعجُز عُجوزا، من باب كرُم يكرُم والمعنى: صار عجوزا ضعيفا. أنظر: الكتاب المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار، مكتبة الشروق الدولية-مصر-، ط4: 1425هـ/2004م، باب العين، ص585.

1 – معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت-لبنان-، ط :1399هـ/1979م،ج4، ص 233-234.

2 – القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين الفيروزبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة -بيروت -لبنان- ط3، سنة:1430هـ/2009م، باب الزاي- فصل العين، ص 515-519.

• **تنبيه**: أمّا الإعجاز، فهو مصدر الفعل الرباعي " أعجز": «تقول أعجز يُعجز إعجازا، فهو معجز. بمعنى سبق فلم يدرك والشيءَ فلانًا فاتَه و لم يدركه»[1].

وهذه المعاني كلها متحققة في إعجاز القرآن، «معناه أنّ القرآن صار معجزا لهم، حيث أوقع بهم العجز والضعف والقصور والتأخر، وهو قد تفوق عليهم، وفاقهم وسبقهم»[2].

ومن المناسب جدا أن نذكر هنا كلاما لمحمود شاكر يتعلق بلفظ الإعجاز من جهة معجميته، إذ يقول: «ولفظ الإعجاز مصدر قولنا في كل أمر يريد الرجل أن يفعله أو يأتيه، فيجهد جهده كله فلا يستطيع أن يفعله أو يأتيه، ويسقط حينئذ في العجز، وهو عدم القدرة على فعل ما يريد، تقول: أعجزه هذا الأمر **إعجازا**، أي انقطعت قوته دونه، فوقع في **العجز** غير مطيق لفعله، غير قادر على إتيانه، ويوصف هذا الأمر عندئذ بأنه **مُعجز** أي هو غير مقدور عليه ألبته، هذا هو مجاز اللغة في تفسير لفظ الإعجاز»[3].*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – المعجم الوسيط ، باب العين: ص585.

2 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص16.

3 – المداخل، ص 16.

* **استدراك**: قد عجبتُ من صاحب "معجم محمود شاكر" لعدم إيراده هذه اللفظة في المعجم، مع أن الكتاب وضع خصيصا لتفسير الألفاظ التي اعتنى بها شاكر من جهة، وشدة عناية شاكر بها من جهة أخرى.

المطلب الثاني: وقفات لمحمود شاكر حول مصطلح الإعجاز.

لقد أولى الأستاذ شاكر اهتماما بالغا بالألفاظ والمصطلحات العلمية وكان له منهج متميز في معاملة الألفاظ والمصطلحات، إذ كان يدقق النظر فيها ويتذوقها ويتحسسها تحسسا مرهفا، ولا يرضى إلا بالحجة والبرهان في تفسيرها، وقد كانت تستوقفه بعض الألفاظ والمصطلحات السنين العديدة، وليس ذلك منه تنطعا أو تكلفا، ولكنّ الأستاذ كان حسه العربي المرهف اتجاه ألفاظ اللغة يستوجب عليه أن لا يمررها من غير فحص وفكر وروية.

ومن الألفاظ التي استوقفت الأستاذ شاكر لفظ " **إعجاز القرآن** " يقول مفصحا عن هذا :« وقد كتب الله عليّ أن أقف مع هذا اللفظ زمنا طويلا، حائرا مترددا، وخائفا متلددا، وجازعا متحفظا ...»[1]، وقد وقف محمود شاكر مع لفظ "الإعجاز" مواقف هامة، أردت أن أوردها هاهنا، وهي على النحو الآتي:

أولا: "الإعجاز" لفظ محدث :

لقد نبه الأستاذ شاكر إلى أن لفظ "إعجاز" القرآن لفظ محدث لم يكن معهودا ولا متداولا في القرنين الأول، ولا الثاني على السواء، وإنما أُحدِث في القرن الثالث فجأةً، فقال الأستاذ مشيرا إلى هذه الحقيقة: « لفظ "الإعجاز" في قولنا إعجاز القرآن، ولفظ "المعجزة" في قولنا معجزات الأنبياء، كلاهما لفظ محدث مولَّدٌ وبيقين قاطع لا نجدهما في كتاب الله، ولا في حديث رسول الله ﷺ، ولم نجدهما في كلام أحد من الصحابة، ولا في شيء من كلام التابعين ومن بعدهم، إلى أن انقضى القرن الأول من الهجرة، والقرن الثاني أيضا »[2].

1 - مداخل إعجاز القرآن، ص 8.

2 - المصدر نفسه، ص 19.

وليست هذه الشهادة بِـدْعًا من القول لدى محمود شاكر، بل نجد غيره يقـرر هـذه الحقيقة كشيخ الإسلام ابن تيمية مثلا الذي يقول:«...ولهذا لم يكن لفـظ "المعجـزات" موجودا في الكتاب ولا في السنة، وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان »[1].

ثانيا: سبب حدوث لفظ الإعجاز.

يرى محمود شاكر أن لفظ إعجاز وغيره من الألفاظ المحدثة ، إنما كان منشأها -كما ذكر أبو عثمان الجاحظ- :« احتدام الجدال والنظر والمحاورة والخلاف، والرد والدفع بين هؤلاء المتكلمين أنفسهم، وبينهم وبين المشاغبين الطاعنين في النبوة وفي القرآن، وبينهم جميعا وبين أهل الملل والنِّحل من اليهود والنصارى والبراهمة، وغيرهم من الطوائف... -حينها- تنبـت مئات متنوعة من الألفاظ والدلالات المتشابهة و المتنافرة، فتداخلت واشتجرت، وتشابكت فروعها الظاهرة، وتعانقت جذورها الباطنة، وأخـذ هـذا من هذا، وهذا من هذا : أخذ من رائحته، من طعمه، من لونه، فهي تسقى من ماء واحد ماء الجدال والخصومة والعنـف والجرأة، وطلب الغلبة والظهور على الخصم، وجاء ثمرها متشابها، وغير متشابه.»[2].

ثالثا: موقف أهل الكلام من مصطلح الإعجاز.

لقد كان أهل الكلام، هم الذين استخرجوا "مصطلح الإعجاز"، « للدلالة على معـنى مقارنٍ للتحدي، وما كان نتيجة له، وهو عجزهم عن فعل ما تحدّاهم به!.

بمعنى أن مشركي العرب لما طولبوا بالإتيان بمثل القرآن الذي تلاه عليهم النبي ﷺ، مدة ثلاث وعشرون سنة، ثم انقضت تلكم السنون، و لم يأت أحد من مشركي العرب بما طولبوا به، صار تركهم الإتيان بسورة مثله **عجزا** من مشركي العرب عن معارضة القرآن بـسورة مثله»[3].

1 – النبوات، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المطبعة السلفية – القاهرة –، ط عام: 1386هـ، ص28.
2 – مداخل إعجاز القرآن، ص 34-35.
3 – المصدر نفسه، ص 30- 31، بتصرف يسير.

وأمَّا إعجاز القرآن عندهم ـ المتكلمون ـ، فيرى الأستاذ أنه: «كان تعبيرا موجزا عن صورة موقف مركب واضح :

هو مجيء التحدي في القرآن يطالبهم بالإتيان بسورة من مثل هذا القرآن من ناحية وإبلاس المشركين وانقطاعهم عن فعل ما طولبوا به في ناحية أخرى ...،ثم لم يلبثوا- المتكلمون- طويلا حتى أخرجوه من حيزه ...، بل لابدّ أن يطلبوا السبب الذي من أجله كان التحدي مظهِرًا عجز العرب بعد أن تحداهم بما تحداهم به فلما ظفروا ببعض ما ظنُّوا أنهم أصابوه من هذه الوجوه، التمسوا له اسما جامعا، فكان أقرب شيء أن يسموه "إعجاز القرآن"».[1]

1 – مداخل إعجاز القرآن، لمحمود شاكر، ص 31-32.

المطلب الثالث: التعريف الذي اختاره محمود شاكر للإعجاز.

إنَّ محمود شاكر رحمه الله قد أَجْـهده درس الإعجاز أيَّـما إجهادٍ وحَيَّـره، فنظر فيـه وفكر، حتى وُفِـق إلى وضع معالـم جليلة في هذا الدرس، ومنـها اهتـداؤه إلى وضـع اصطلاح للإعجاز، والملاحظ من كلام محمود شاكر في تعريف "الإعجاز" أنه جعل تعريفه على مرتبتين ينبغي التفريق بينهما:

- **أما الأولـى**: فقد اكتفى فيها بوصفه.

- **وأمّا الثانيّة**: فهي التي يمكن أن تُجعل التعريف المختار لمحمود شاكر رحمه الله.

- **أولا: فأمّا الوصف:**

فيُمكنني أن أصوغه صياغة من خلال كلام لمحمود شاكر المتفرق فأقول:

إنّ وصف إعجاز القرآن عند محمود شاكر هو: « أن القرآن الكريم لَمَّـاَ كان هو نفسه الآية، وهو البلاغ لِمـاَ أنزله الله أول ما أنزله فَجِأ به نبيه العربي الأمي في الغار رجف منه فؤاده ...وكان رجلا من العرب يعرف من كلامها ما تعرف، وينكر منه ما تنكر، كان هذا الروع الذي أخذه - بأبي هو وأمي- أول إحساس في تاريخ البشر، بـمباينة هذا الذي سمع للذي كان يسمع من كلام قومه، والذي كان يعرف من كلام نفـسه ... ،-وأن - هـذا القرآن- مباين لنظم البشر وبيانهم ...، وقد أدركت العرب ذلك ...ومن هذا الوجه تحيرت العرب فيما تسمع من كلام يتلوه عليهم رجل منهم، تجده من جنس كلامها لأنـه نـزل بلسانهم لسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، ثمَّ تجده مباينا لكلامها، فما تدري ما تقول فيه ...،فلمـا طـال تكذيبهم و إنكارهم ...صب الله عليهم من الوحي ما هالَهُم وأفزعهم كانوا يـتحيرُون في هذا الذي يُتلى عليهم ...،وظلَّ الوحيُّ يتتابع وهو يتحدَّاهم أن يأتوا بمثل هذا القـرآن، ثم بعشر سُوَرٍ مثله مفترياتٍ فلمَّـا انقطعت قُواهم قَطَع الله عليهم وعلى الثقلين جميعا منافـذ اللَّدد والعِناد، فقال :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾الإسراء: 88، وقد كان ذلك كذلك.

فكان هذا البلاغ القاطع الذي لا معقب له هو الغاية التي انتهى إليها هذا القرآن أمر التراع فيه لا بين رسول الله وبين قومه من العرب فحسب بل بينه وبين البشر جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، لا ...، بل بينه وبين الإنس والجن جميعا مجتمعين متظاهرين، وهذا البلاغ الحق لا معقب له من بين يديه ولا من خلفه، هو الذي اصطلحنا عليه فيما بعد، وسميناه "**إعجاز القرآن**"»[1].

- **ثانيا: وأما تعريف الإعجاز:**

يقول شاكر رحمه الله معرفا للإعجاز: « و"إعجاز القرآن"، صفة منصوبة للدلالة على أن القرآن كلام الله سبحانه أنزله بعلمه بلسان عربي مبين، فنزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون معجزته التي توجب على من سمعها أن يشهد له بأنه رسول أرسله الله إلى الناس كافة، إنسهم وجنهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم »[2]

والذي يمكننا أن نلاحظه على ذلك أن وصف إعجاز القرآن عند محمود شاكر أبلغ من الحد الذي وضعه له إذ إن الحدَّ الذي وضعه شاكر لإعجاز القرآن فيه نوع قصور، وإخلال بشروط الحدِّ الذي يشترط له أن يكون جامعا مانعا.

وإذا ما قارنا ـ مثلا ـ تعريف شاكر مع التعريف الذي اختاره الخالدي في كتابه "إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني" الذي يقول فيه عن حد الإعجاز: « معنى "إعجاز القرآن" هو: عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية، وقيام الداعي لذلك، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك»[3].

فأنت ترى أن حدَّ الخالدي أحظى من حد محمود شاكر من جهة أن الضوابط في الحد عند الخالدي جعلته أقرب إلى أن يكون مانعا جامعا.

---

1 - أنظر المداخل من ص 157-161.

2 - المصدر نفسه، ص 15-16.

3 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، للخالدي، ص17.

المطلب الثالث: مصطلحات متعلقة بالإعجاز.

إن المتأمل في لفظ "الإعجاز"، يجده قد أحاطت به ألفاظ لا تقلُّ عنه أهميةً، هذه الألفاظ أردت أن أوردها بإزاء لفظ "الإعجاز" في مطلب واحد حتى تكتمل الفائدة، وحتى تعين على تصور تعريف الإعجاز، ولأجل بيان بعض الفروق المهمة بين هذه الألفاظ التي بينها تقارب كبير لا يكاد ينتبه له المتخصصون فضلا عن غيرهم.

وأرى أنّ هذا المبحث من صُلب منهج محمود شاكر رحمه الله الذي تمثل في العناية بالألفاظ، لذلك اجتهدتُ في إحصاء هذه الألفاظ، وإيرادها بإزاءِ لفظ"الإعجاز"، وهي:

أولا: المعجزة.

من الألفاظ التي تأتي في سياقات الحديث عن الإعجاز في القرآن الكريم: "لفظ المعجزة"، وقد عرض لها الأستاذ شاكر بالتعريف والضبط، فقال في تعريفها:

«فمعنى المعجزة هو أنها الآية الكاشفة عن عجز جميع الخلائق، المبطلة لجميع قدراتهم على مثلها المبينة عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء في السموات و الأرض».[1]

والمميز لتعريف شاكر عن التعاريف التي وضعها أهل الكلام أنه قام بحذف "شرط التحدي" من التعريف، لأنه يراه من تصرف المتكلمين، وأنه لا مناسبة له بالمعجزة، ولا هو شرط لها، يقول شاكر:« لفظ "التحدي" وضعه المتكلمون واصطلحوا عليه لتصوير موقف مشركي العرب من رسول الله ﷺ، حين تلا عليهم القرآن»[2].

ثانيا: الآية.

اعتنى الأستاذ شاكر بلفظ "الآية"؛ والذي وضع كمرادف للمعجزة لدى المتكلمين، وقد بيَّن أن ذلك خلط منهم في اعتباره مرادفا له فقال:« وقد استخدم الناس قديما وحديثا

1 - المداخل، ص 17.

2 – المصدر نفسه، ص 29.

هذين اللفظين-الآية والمعجزة-، على أنهما مترادفان بلا غضاضة، وهذا الترادف قد أفضى إلى خلط يصعب معه تبيُّنُ وجه الحق بل أفضى إلى ما هو أكبر من ذلك »[1].

كما بيّن الأستاذ أنّ «لفظ المعجزة لفظٌ مولَّدٌ محدث نشأ في أواخر القرن الثالث من الهجرة، ثم بدأ يُزاحم لفظ الآية في كتب العلماء وعلى ألسنتهم وأقلامهم، وأن أكثر أهل العلم كانوا يقولون آيات الأنبياء في معنى البراهين الدالة على نبوتهم، حتى إذا ما جاء القرن الرابع الهجري بدءوا يقولون معجزات الأنبياء وآيات الأنبياء معًا، ثم تزاحم اللّفظان على أقلام الكتاب والعلماء، حتى غلب لفظ المعجزة لفظ الآية، ثم استولى على الأقلام والألسنة إلى يومنا هذا، ودخل لفظ الآية في ظله حتى قلَّ قِلة ظاهرة حتى كاد يخفى، بل لعله قد غاب غيابا مشهودا عن كل بحث في معجزات الأنبياء، وفي إعجاز القرآن خاصة »[2].

وقد أورد صاحب "معجم محمود شاكر"تفسير شاكر للآية، في لفظ أيا، فقال: « أيا: الآية: الرسالة، وهو بهذا المعنى لم تذكره كتب اللغة، ولكن شواهده لا تعدُّ كثرة. من ذلك قول حجْل بن نَضْلة الباهلي: (من الكامل)

أبلغ معاوية الممزق آية عنِّي فلست كبعض ما يتقوَّلُ.

وكذلك قول كعب بن زهير: (من الطويل)

ألا أبلغا هذا المعرِّض آية أيقظانَ قال القول إذ قال أو حَلَمْ؟

وقول أبي العِيال الهُذلي: (من الكامل)

أبلغ معاوية بن صخر آية يهوي إليك بها البريدُ الأعجلُ.

وأوضح منه قول القائل: (من الوافر)

أتتني آية من أمِّ عمرٍو فكدتُ أغصُّ بالماء القَراح

فما أنسى رسالتها ولكن ذليلٌ من يَنُوء بلا جَنَاح

وفي هذا حجة كافية وبرهان»[3].

---

1 - المداخل، ص 124.

2 - المصدر نفسه، ص 125-126.

3 – معجم محمود شاكر، ص 27، المداخل، ص 126-130.

وقد توسع شاكر في شرح لفظ "الآية"، وبيان معانيها اللغوية المستعملة والمهملة ، فذكر جميع معاني الآية التي كانت معهودة في كلام أهل الجاهلية الذين نُـزِّل علـيهم القـرآن، وجعل لها تسع مجاري كانت تدور عليها اللفظة؛ ألخصها على شكل نقاط كالآتـي:

«1- العلامة.

2- آثار الديار ورسومها.

3- البناء العالي الذي بُني ليستدل به.

4- شخص الرجل وجثمانه الذي يُرى من بعيد، أو في الظلمة غير بيِّـن الملامح.

5- كل شيءٍ تسمعه أو تراه، فيُذكِّرك بشيء نسيته، أو غفلت عنه وهو العِبرة.

6- كل شيء يستدل به على أمر قد كان وحدث، ولا شك عند سامعه في حدوثـه، وأن المتحدث به صادق.

7- القوم إذا رحلوا جميعًا لحربٍ أو في سفْرة.

8- الرسالة التي يحملها الرسول.

9- القصة، نَـقَل ذلك عن الإمام الطبري رحمه الله، وقد عدَّ هذا المعـنى مهجـورا عنـد المحدثين»[1].

وبعد أن ساق هذه المعاني قال :« وبيِّنٌ أن هذه المجاري الثمانية* التي يجري فيها لفـظ الآية تـنبع كلها من معنى العلامة الظاهرة البـيِّنة الدالة، التي تراها العـين، أو تـسمعها الأذن، أو يتوهمها القلب، أو يثقفها العقل، هادية على الطريق أحيانا، وتكون دليلا علـى معنى يتطلب الدليل أحيانا أخرى، وتكون شاهدا على صدق الحدث والحديث تارة، وبيانا صادقا أو أمارة مصدقة تارة أخرى»[2].

1 - المداخل، ص126-130باختصار.

* قال ثمانية مع أنها تسعة، لأنه ذكر أن المعنى التاسع لا يعتد به حتى تثبت عنده صحته ص 130.

2 - المداخل، ص 130-131.

ثالثا: التحدي.

وهذا « لفظ آخر مقترن اقترانا لا انفكاك منه بلفظ "الإعجاز"، وهو لفظ "التحدي" في قولهم :إن النبي يتحدى أهل زمانه بما يظهر على يديه من المعجزات».1

يقول الأستاذ شاكر في بيان معنى "التحدي"*: «والتحدي في أصل اللغة من قولهم: فلان يتحدى فلانا، أي يباريه وينازعه الغلبة، والحادي: المتعمد للشيء، يقال: حداه وتحدّاه وتحرّاه بمعنى واحد أي تعمّد الأمر وقصده،... ويقولون أيضا :«أنا حُدَيَّاك بهذا الأمر أي ابرز لي وجاريني فيه،... فالمتحدي إذن، هو الذي يقصد أن يعارض بفعله خصما طالبا بذلك إظهار قدرته وتفوقه عن طريق معارضة يرتكبها هو نفسه، قال: والتحدي بهذا المعنى قليل جدا، ولا تكاد تظفر به في كلام الناس إلا في الزمان بعد الزمان »[2].

ثم ذكر بعد ذلك المعنى المراد من البحث وأنه في المعنى يقع على عكس المعنى الذي تقدم، وهو أصل الوضع اللّغوي فقال : «وأما لفظ التحدي الذي نحن بصدده، وهو المستفيضُ على ألسنة النّاس إلى اليوم، والمبثوث في كلّ كتابٍ، فهو على عكس هذا المعنى بلا ريب، وهو أن تفعل أنت فعلا، ثمّ تطالب خصمك أن يبذل غاية جهده في معارضته والإتيان بمثله، وأنت على ثقة من أنه غير قادر على مثل هذا الفعل طالبا بذلك إظهار عجزه وضعفه عن مُساماتِك أو غلبتك أو الظهور عليك».[3]

وقد نبَّه محمود شاكر رحمه الله عن المعنى الذي أحدثه المتكلمون فقال:«التحدي لفظ وضعه المتكلون للدلالة على ما كان من أمر مشركي العرب، حين طولبوا بالإتيان بسورة مثله، فانقضت السنون فلم يأتوا بشيء مما طولبوا به».[4]

---

1 - المداخل ص 19.

* **استدراك**: وهذا أيضا لفظ مهم أغفله صاحب كتاب"معجم محمود شاكر"، مع أن شاكر ذكر له معنى نادر الوجود، مستدركا بذلك على كثير من المعاجم اللغوية، بل نبه إلى أن المعنى الذي اشتهر الآن عن التحدي مخالف للوضع اللغوي الصحيح له.

2 - المداخل ص 21.

3 - المصدر السابق، ص 21-22.

4 - المصدر نفسه، ص 31.

ولم يفت محمود شاكر أن ينبه على أن :« لفظ التحدي محدث مولد، وليس من كلام صرحاء العرب وإن كان جاريا على بعض أساليبهم في مجاز اللغة، وأول وأقدم من استعمله بهذا المعنى أبو عثمان الجاحظ.

وأنّ لفظ التحدي هو أسبق الثلاثة وجودا- أي: المعجزة والإعجاز والتحدي- »[1].

رابعا : الإبلاس.

ارتأى محمود شاكر أن يسمي حالة أقوام الأنبياء عند مشاهدتهم ومعاينتهم للآيات التي يأتي بها الأنبياء عليهم السلام بـ: "الإبلاس"*، وهو عنده « دهَشٌ وسكُوتٌ ووجومٌ وإطراقٌ أحدثته مباغتةُ الآية عند المعاينة، ثم تسليمٌ قاطع تَستيْقِنه النُّفوس، بأنها فعلٌ ممتنعٌ على هذا النبيِّ وعلى جميعهم بلا ريب يخامرهم في ذلك»[2]، وجعله الشرط الصحيح للآية وهو مدارها **وهو في اللغة** :«حالة طارئة تعتري النفس من أمر يأتي بغتة، أو يراه المرء بغتة، فيَفْجَأه عنده حيرة ورهبة ودهش وخوف، فتنقطع لها حركة حسه، فيسكت ويغشاه وجوم وإطراق»[3].

إلاّ أنّ شاكر يلاحظ أن هذا الإبلاس في سائر آيات الأنبياء عليهم السلام ليس هو كآية نبينا محمد ﷺ، إذ يقول:« وذلك أني وجدت أن آيات الرسل جميعا، حاشى القرآن، العجز فيها قريب المأخذ، وسهل أيضا أن يقبله العقل قبولا مغريا بالركون إلى صحته والاقتناع به. أما العجز في شأن القرآن، فإني وجدت الأمر مختلفا أبين الاختلاف»[4].

وقال شاكر في موضع آخر من كتابه :« فإنهم حين جاءوا إلى القرآن العظيم، وجدوه آية لا تشبه شيئا من آيات الرسل عليهم السلام منذ آدم عليه السلام، حتى جاء آيةً فريدةً

---

1 - أنظر المداخل، ص 22-23.

* **– استدراك**: وهذا الفظ أيضا مع أهميته لم يورده صاحب معجم محمود شاكر.

2 - المصدر السابق، ص 45 .

3 - المصدر نفسه، ص46.

4 - المصدر نفسه، ص 43-44.

في تاريخ البشر، أوتيها نبينا ﷺ دون سائر الرسل، فوجدوا شرطهم مع هذه الآية، لا يطاوعهم كما طاوعهم من قبل- أي في آيات الرسل السالفة- »[1].

ثم يذكر الأستاذ شاكر **فرقا بين الإبلاس وبين الإعجاز** فيقول: «فالعجز ضعف يدركه المرء من نفسه عن بذل جهد ومعالجة، والإبلاس إحساس غامر بالحيرة والدَّهش والانقطاع، تمنع المرء عن كل جهد، ومعالجة »[2].

وبالتالي فـ«الإبلاس هو ألصدق اللَّفظين دلالةً على ما يأخذ المُشاهد عند معاينة الآية بغتة، وهو أحق اللفظين بأن يكون عليه مدار الآية، وهو أحرى اللفظين بأن يدخل في شرط الآية فيقال مدار الآية على إبلاس الخليقة، وباطل أن يقال مدار الآية على عجز الخليقة»[3].

خامسا: البلاغة.

أمّا لفظ البلاغة، فقد استوقف شاكرا كثيرا، حتى عدّه في الألفاظ « هو أشدهن سحرا، حين وضع في حيّز الإبانة عن أعظم وجوه "إعجاز القرآن"، وذلك لأن لفظ البلاغة الذي أسند إليه إعجاز القرآن كان، و لم يزل لفظا مبهما غير بيّن المعالم والحدود والدرجات».[4]

والذي استوقف شاكر في لفظ البلاغة هو الإبهام الذي أحاط بها، مستعينا في ذلك بوقفة الإمام الخطابي رحمه الله قبله مع تفسير البلاغة، وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه عند عقد المقارنة بين محمود شاكر والخطابي.

1 - المداخل، ص 47.
2 - المصدر السابق، ص 46.
3 - المصدر نفسه، ص 46-47.
4 - المصدر نفسه، ص 81.

المبحث الثاني: تأريخ الإعجاز عند محمود شاكر.

تمهيد: إن التأريخ لعلم من العلوم أمر حتميٌّ لإدراكِ معالمه ومبادئه، لذلك كان من المهم جدا أن يُؤرَّخ لدرس إعجاز القرآن، وقد حاول محمود شاكر في كلامه عن "إعجاز القرآن الكريم" أن لا يهمل هذا الأمر المهم؛ لا نقول في الإعجاز وحده بل في العلوم كلها، فقد كان من منهجه عليه السلام تتبع المراحل التاريخية للفظ الواحد فضلا عن علم قائم بنفسه، لأن محمود شاكر أدرك أهمية هذه الخطوة ـ التأريخ للعلم ـ من إدراك العلوم.

وقد خَلُصت بعد القراءة المتأنية لكلام الأستاذ شاكر، والوقوف على استقراءه لقضية التأريخ لدرس إعجاز القرآن الكريم وسبره لها*؛ إلى أنه يمكن جعل المراحل التاريخية لمصطلح "الإعجاز" التي عرض لها شاكر أربعة مراحل، على النحو التالي:

- **المرحلة الأولى** مرحلة ما قبل ظهور المصطلح: ممثلة في الصحابة والتابعين من جهة، والمتكلمين الأوائل من جهة أخرى.
- **المرحلة الثانية:** مرحلة تمخض المصطلح ممثلة في الجاحظ كأمة وحده.
- **مرحلة الثالثة:** ميلاد المصطلح بداية من الواسطيِّ المعتزلي .
- **المرحلة الرابعة:** مرحلة ما بعد ظهور المصطلح: مُبْتَدَأةً بالرُّماني.

---

* **تنبيه:** وقد استعان محمود شاكر رحمه الله في التأريخ لقضية إعجاز القرآن الكريم، بذكر أهم أعلام الدرس مرتبين على الفترات الزمنية، بداية من نزول القرآن الكريم، والذي كان ظاهرةً فريدةً ليس فقط في تاريخ العرب، بل في تاريخ البشرية جمعاء، ثم مرورا بمراحلَ مهمةٍ ظهر فيها أعلامٌ أسهموا في التأصيل لدرس إعجازِ القرآن.

المطلب الأول :المرحلة الأولى "ما قبل ظهور المصطلح".

وهذه المرحلة الأولى مرحلة مهمة لا يمكننا إهمالها، لأن كثيرا من القضايا إنما يتوقف فهمها فهما دقيقا صحيحا باعتبار هذه المرحلة، واستحضار مميزاتها، لاسيما وأن المسألة متعلقة بمصدر الشريعة الأول ألا وهو القرآن الكريم، وبخاصة أن أهل هذه المرحلة كانت لهم العناية البالغة بهذا المصدر، فيبْعُد من حيث الوقوع أن يُسبق هؤلاء إلى شيء يتعلق بالقرآن الكريم، ثمّ لا ينتبهون إليه.

وننطلق في هذا المبحث بحقيقة علمية وواقعية يُعبر عنها شاكر بقوله:« أمَّا الصحابة والتابعون فيقينٌ حاسمٌ لم يتكلموا ولم ينظروا في شيء من ذلك، ولا في شيء مثله »[1].

ونورد هاهنا سؤالا فنقول: هل عدم كلام الصحابة في مثل هذا المصطلح كان لأجل أنه كان يخفى عليهم مثل هذا الأمر؟.

لا نشكُّ ألبته أن الجواب عن هذا السؤال سيكون بالنفي لا محالة، كيف وقد قال عمر بن عبد العزيز عليه السلام عن هؤلاء: «...فارض لنفسك ما رضي القوم لأنفسهم- يريد الصحابة رضي الله عنهم-، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقدر، وبفضل ما فيه كانوا أولى...»[2].

فإذن القرون الأولى من هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين لم يعرضوا لهذا المصطلح، فلم يدرجوه في كلامهم ولا كتبهم، وأن ذلك كان منهم على دراية وعلم.

وأما ما حدث بعد قرن الصحابة من الكلام في العقائد بالرأي الفاسد مما كان من المعتزلة الأوائل الذين نجم أمرهم على يد واصل بن عطاء، فيقول محمود شاكر عليه السلام عن هذه الفترة المهمة من تاريخ العقائد عموما، وتاريخ الإعجاز

---

1 – المداخل، ص 48.

2 – أخرجه أبو داود في السنن، برقم 4116 باب لزوم السنة، ج 5ص 16، سنن أبي داود، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث، إعداد وتعليق عزت عبيد الدَّعاس وعادل السيد، دار ابن حزم بيروت -لبنان-، ط1: 1418ه/1997م..

خصوصا :« ...حتى إذا انقضت المائة الأولى من الهجرة وانتصفت المائة الثانية أو كادت، جاء واصل ابن عطاء الغزال البليغ الألثغ، فاعتزل وشق "الكلام" للمتكلمين من بعده، وصار هو رأس المعتزلة، ومبدأ طريقهم ...، وكان حياتَه مشغولا بالكلام في القدر والصفات، وأفعال العباد، والمنزلة بين المنزلتين، وهي أصل عمل المتكلمين، ولا يُعرف له قول في آيات الرسل، ولا في القرآن العظيم».[1]

فأنت ترى هنا أنه ومع حدوث الكلام في العقيدة بالرأي، فإن الحديث عن "الإعجاز" لا يزال مثنيا ولا يزال بعدُ لم يكشف عنه لثام، ولا خاض فيه أحد من الأوائل لا من الصحابة ولا غيرهم من أهل الكلام ممن عاصرهم أو جاء عقبهم؛ الذين كان كلامهم المحدث دائرا حول القدر والصفات، وبعض المسائل العقدية، التي هي بمعزل عن آيات الرسل، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم ظهور حركة الزندقة التي قامت على التشكيك في آيات الرسل عليهم السلام، وآية نبينا ﷺ التي هي القرآن على وجه الخصوص.

والمتأمل في هذه المرحلة يمكن أن يجد لها خصائصَ متنوعة، لعلَّ أهمها:

- الاكتفاء في الألفاظ والمصطلحات بما نطق به القرآن الكريم والسنة النبوية، وفي المقابل التحرز من إحداث الألفاظ التي لم ينطق بها الوحيين.

- أنّ الحديث عن القرآن الكريم من جهة أن آية النبي ﷺ ،كان أمرا مسلما لدى سائر الناس حتى عند الذين أحدثوا في مسائل العقيدة كالمعتزلة الأوائل، ولعل سبب ذلك عدم ظهور من يشكك في ذلك، وبالتالي كانت المسألة لا تحتاج إلى بحث.

1 - المداخل ص48.

المطلب الثاني :المرحلة الثانية "مرحلة تمخض المصطلح".

إن هذه المرحلة لا تقلُّ أهمية عن المرحلة السابقة، وتكْمُن أهميتها في الكشف عمّن كان متسببا في ظهور كثير من المصطلحات، المتعلقة بالبلاغة عموما، وبإعجاز القرآن خصوصا، وقد عانى شاكر كثيرا في بيان هذه القضية بيانا قائما على الحجة والبرهان، لا على مجرد الظن والتخرُّص والبهتان، يقول محمود شاكر: «...فالأمر البيِّن الذي لا يستره إبهام ولا غموض، هو أنهما ـ الجاحظ والنظام ـ هما اللذان كانا أول من وضع هذا الشرط :"مدار الآية على عجز الخليقة"»[1].

وقد أقدم الأستاذ شاكر على هذه الحقيقة الخفية منوها بصعوبتها وتعقيدها، لأنه إنما اكتشفها مما تضمره القلوب في تلك السطور المعدودة التي خلفها كلٌّ من النظام والجاحظ، فيقول مفصحا: « واستنباط ما تضمره القلوب، وما غيبه الفناء البعيد في أكفانه، أمر بليغ الوعورة والعسر»[2].

ولعلَّ أعظم الرجلين إسهامًا في هذا الباب دون ريب؛ هو أبو عثمان الجاحظ، وعمل الجاحظ هنا تكمن عظمته في: « براعته وبيانه ومساهمته في وضع ألفاظ عظيمة الوقع في النفوس بإبهامها واستثارتها، ونثرها في جمل بارعة الصياغة متألقة الألفاظ فجاءت مثيرة لكوامنِ الخواطر، قريبة الإيحاء بالمعاني البعيدة ...، ثم بثها في سياق تركيب كلامه، وتأثيرها فيها، فمهد لغيره أن يتناول القضية تناولا يعينه على أن يصوغها صياغة قابلة للإثبات»[3].

ومع ذلك كله فإن لفظ "الإعجاز"، لم يأتِ أبدا في كلام أبي عثمان الجاحظ كما حقق ذلك شاكر حين قال في معرض كلامه عن سبق أبي عبد الله الواسطي :« ومن الدليل على انه أول من فعل ذلك، على الأرجح، أن أبا عثمان لم يستعملها قط، ولا استعملها أحد من معاصريه من علماء الأمة على اختلافهم...»[4].

---

1 - المداخل ص 51.

2 - المصدر السابق، ص52.

3 - المصدر نفسه، ص 75-76.

4 – المصدر نفسه، ص 77.

لقد ترك الجاحظ لمن خلفه ألفاظا دانية المأخذ، فليس على من يقف عليها إلى أن يستخرج ثمرها بالقطف لا غير، فكان الجاحظ هو الذي حرث وزرع وسقى، فكفى غيره مؤنا كثيرة، لم يبق منها إلا عملا واحدا هو الجني لتلك الألفاظ ثم صياغتها على شكل مصطلحات علمية.

أما عن **خصائص هذه المرحلة**، فأهمها:

- أنّ الكلام على آيات الأنبياء عليهم السلام والاستدلال لها بدأت تظهر ملامحه، وبخاصة القرآن الكريم، وذلك لبداية حركة الزندقة، والتي اضطر أهل الكلام من المعتزلة إلى مناقشتهم بما يردعهم ويسكتهم عن دعاويهم الباطلة التي أقاموها حول آيات الأنبياء القائمة على التشكيك فيها عموما، وفي القرآن على وجه الخصوص.

- ظهور بعض المصطلحات التي وضعها المتكلمون في أثناء خصوماتهم ومنازعاتهم مع أولئك الزنادقة، والتمهيد لمصطلحات سيكون لها الأهمية البالغة ومنها "إعجاز القرآن".

- بداية الحديث على وجوه إعجاز القرآن، كالصّرفة التي أحدثت ما أحدثت بعدُ، وبدأ الكلام عن نظم القرآن وبيانه، والذي اعتدّ به سائر من تحدث عن وجوه إعجاز القرآن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: المرحلة الثالثة "مرحلة ميلاد المصطلح".

كان الرجل الأول المتسبب في ميلاد المصطلح - على ما حققه محمود شاكر-، هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المعتزلي، إذْ يقول: «وهو أول من نعلم أنه أنشأ كتابا يحمل عنوانه لفظ "إعجاز القرآن"، وهو اللفظ الذي كان دانيا في كلام أبي عثمان الجاحظ، ثم تجاوزه ...، واستخرجه إخراجا من كتب أبي عثمان، ولاسيما كتابه "الاحتجاج لنظم القرآن"،...فالأشبه بالحق أن يكون هو أول من أكثر استخدام هذين اللفظين* »[1].

وقال كذلك: « رجحتُ أن أبا عبد الله الواسطي صاحب كتاب "إعجاز القرآن"، هو أول من ولَّده»[2]، وفي قول شاكر عن الواسطي أنه ولّده يَدُّلنا على أن الجهد في ذلك لم يكن خالصًا له، بل -كما سبق-، فالجاحظ كان له الأثر الكبير على من بعده في إنشاء المصطلحات التي تتولد من سياقات كلامه.

لقد ذهب كثير من الباحثين في إعجاز القرآن الكريم إلى تقرير أن أوّل من ألف كتابا يحمل عنوان "إعجاز القرآن"، هو أبو عبد الله الواسطيِّ المعتزليِّ، إلا أن كتابه لم يُعثر عليه، إذْ فُقِد في جملة ما فُقد من كتب التراث.

يقول الخالدي: « ولعل أول من استعمل مصطلح "الإعجاز" كان بعد منتصف القرن الثالث الهجري، وقد ذكر العلماء أنّ " محمد بن يزيد الواسطي " المعتزلي أول من ألَّف في الإعجاز، حيث ألَّف كتابا سماه " إعجاز القرآن "»[3].

ولعل أن هناك أسبابا جعلت الواسطي يسبق إلى تفسير كلام الجاحظ واستخراج مصطلح "إعجاز القرآن" من سياقات كلامه المنثور في كتبه المتنوعة منها:

• قُرب الواسطي من عصر الجاحظ، يقول محمود شاكر: « وقد توفي أبو عبد الله سنة 306 من الهجرة، فبين وفاته، ووفاة الجاحظ في سنة 255 من الهجرة ، إحدى

---

* يريد لفظي: "الإعجاز" ، "المعجزة".

1 - المداخل ص 77.

2 – المداخل ص 125.

3 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للخالدي، ص81.

وخمسين سنة ليس غير، فلعله لقي الجاحظ صغيرا ورآه، أو لعله وُلـــد في حياته و لم يـــره، ولكن الذي لا ريب فيه أن أبا عبد الله الواسطي المعتزلي قرأ كتب الجاحظ، ولاسيما كتابه "نظم القرآن"[1].

• اشتراكهما في المدرسة الكلامية، فكلاهما معتزلي النزعة، فلا شك أن الواسطي قد تأثر بكتب الجاحظ تأثرا عظيما، جعله يستخرج منها ما كان دانيا من موضوع إعجاز القـــرآن على حد تعبير محمود شاكر رحمه الله.

• انتباههما إلى أن شرط "الإعجاز" لا بد منه في آيات الأنبياء، حتى يستقيم لهـــم بـــذلك مذهبهم الكلامي، ويطرد في سائر آيات الأنبياء عليهم السلام التي منها القرآن الكريم.

وخصائص هذه المرحلة، أهمها:

- ظهور مصطلح "إعجاز القرآن"، والذي كان دَانيًا في كلام أبي عثمان الجاحظ، حـــتى ظهر على عنوان كتاب للواسطيِّ المعتزلي؛ ولأول مرّة.

- العناية بالحديث عن آية النبي ﷺ، التي هي القرآن الكريم، والاستدلال لها على أنها آيـــة من ربّ العالمين، وأنها أعظم الآيات كلها، إلا أن مأخذها من أدقَّ وألطف المآخذ بالنـــسبة لآيات الأنبياء الأخرى.

- بداية التأليف المستقل في إعجاز القرآن الكريم.

1 – المداخل ص 28.

المطلب الرابع: المرحلة الرابعة "مرحلة ما بعد ظهور المصطلح".

وتبتدئ هذه المرحلة على ما يؤخذ من كلام محمود شاكر من أبي الحسن بن عيسى الرُّماني المعتزلي[1]، والذي جعله شاكر الرجل الثالث في تاريخ "علم إعجاز القرآن"، وقد كان إسهامه في إعجاز القرآن قد تجلى في كتابه "نكتٌ في إعجاز القرآن" والذي كتبه إجابة عن سؤال وجهه إليه بعض محبيه من طلبته.

يقول شاكر ملخصا ما احتواه الكتاب من مادة علمية: « فذكر فيه وجوه إعجاز القرآن، وخصّ من هذه الوجوه بلاغة القرآن، فذكر طبقات البلاغة ثمّ أقسامها»[2].

وقد افتتح الرُّماني كتابه ببيان وجوه الإعجاز التي ارتضاها فقال:« وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.»[3].

---

1 – أبو الحسن الرُّماني علي بن عيسى بن علي بن عبد الله: ولد عام (296ه) صنف في التفسير، واللغة، والنحو، والكلام، وشرح كتاب"سيبويه"، وكتاب "الجمل"، وله في الاشتقاق، وفي التصريف، وأشياء، وألف في الاعتزال "صنعة الاستدلال"سبع مجلدات، وكتاب "الأسماء والصفات"، له نحو من مائة مصنف. وكان أبو حيان التوحيدي يبالغ في تعظيم الرُّماني إلى الغاية، ويصفه بالتأله، والتنزه، والفصاحة، والتقوى.

مات في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، عن ثمان وثمانين سنة. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان –،ط3: 1405ه/1985م. ج 16ص 533 ، وانظر ترجمته: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر، لبنان، ط2: 1399ه/1979م. ج 2 ص180، طبقات المفسرين، المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة –القاهرة–، ط1، سنة: 1396ه، ص 68.

2 – المداخل، ص 79.

3 – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، الروماني والخطابي والجرجاني، حققها وعلق عليها محمد خلف الله و محمد زغلول إسلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر 1976م، ص75.

ثم ذكر « أن البلاغة على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان دون ذلك، فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس»[1].

وقد توسع الرُّماني في كلامه عن الوجه الرابع توسعا كاد يأخذ مادة الكتاب كلها، ثم تكلم في الأخير عن الوجوه الأخرى بنوع من الاختصار.

• ثم تلا الرُّمانيَّ رجلٌ بارزٌ في درس إعجاز القرآن و البلاغة، وهو الإمام الجليل القدر في أهل السنة، وعند أهل الأدب واللغة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، والذي شارك في التأصيل لدرس إعجاز القرآن برسالته الموسومة بـ"بيان إعجاز القرآن" ، ولعل الأمر الذي لفت نظر شاكر من هذه الرسالة هو تصريح الخطابي بغموض لفظ البلاغة التي جعلها جمهور العلماء أظهر أوجه إعجاز القرآن، إذ يقول الخطابي:« وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر، وفي كيفيتها يعرض لهم الإشكال، ويصعب عليهم منه الانفصال ...-ثم قال- ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا: إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده، وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذي يقع فيه التفاضل، فتقع في نفوس العلماء به عند سماعه معرفة ذلك...قالوا: وقد يخفى سببه عند البحث، ويظهر أثره في النفس، حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به قالوا: وقد يوجد لبعض الكلام عذوبة في السمع، وهشاشة في النفس، ولا يوجد مثلها لغيره منه، والكلامان معا فصيحان، ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علّة.قال أبو سليمان: قلت: وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم من داء الجهل، وإنما هو إشكال أُحيل على إبهام»[2].

وفي الجملة فإنَّ رسالة الخطابي عليه السلام قد احتلت مكانة عالية من كتب الإعجاز، وكانت لبنة بناء أساسية لا يمكن الاستغناء عنها في هذا الصرح من درس إعجاز القرآن،

1 – المصدر نفسه، ص75.

2 – ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 24-25.

هذا ما جعل الخالدي يقول عنها: « لقد كانت الأفكار والمسائل التي أشار إليها الإمام الخطابي في رسالته عديدة، وهي أصيلة ومتعلقة بالإعجاز تعلقا قويا.

وكلُّ أفكارِ ومسائلِ ومباحثِ الإعجاز التي تحدث عنها العلماء اللاحقون، لها إشارات في رسالة الإمام الخطابي، وكأنَّ رسالة الخطابي هي الأصل العلمي والأساس المتين لكلّ الرسائل والكتب، التي أُلِّفت بعد ذلك في بيان إعجاز القرآن! وكأنَّ تلك الكتب شرح لرسالة الخطابي!!»[1].

• ثم جاء بعد الخطابي، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، الذي يقول عنه محمود شاكر: « وكان متكلما لا يبارى في نصرة مذهب الأشعري، ولكنه كان أيضا أديبا جيد التذوق ينفي عنه صدأ الكلام»[2]. وقد أشاد محمود شاكر بعمل الباقلاني، وبكتابه "إعجاز القرآن"، وذكر أن القاضي الباقلاني قد فاق الجاحظ في تحليل البلاغة، وأنه كان أشد تنبها من الجاحظ، يقول شاكر: « وقد بلغ القاضي في ذلك مبلغا أربى فيه على أبي عثمان الجاحظ، وإن كان في كثير من ألفاظه عالة عليه، ونازعا منه، ولكنه كان أشد تنبها من أبي عثمان إلى أن بيان القرآن مفارق لبيان البشر»[3].

الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" جاء ببحث شامل في درس إعجاز القرآن، بعدما كانت الكتابات بعده تعد مختصرات وكتيبات صغيرة.

أما حديث الباقلاني عن وجوه الإعجاز، فقد جعلها ثلاثة:

الأول: الأخبار المستقبلية التي اخبر بها القرآن قبل حدوثها

الثاني: الأخبار الماضية، التي أخبر بها على الرغم من أمية النبي ﷺ.

الثالث: بلاغة القرآن ونظمه وبيانه»[4].

---

1 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص89.

2 – المداخل ص 75.

3 – المصدر نفسه، ص 87.

4 – أنظر تفصيل ذلك في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، ص 35-47.

• ثم جاء بعد الباقلاني، رأس الاعتزال القاضي عبد الجبار، وقد كتب عبد الجبار الكتب الكبار في الانتصار لمذهب المعتزلة، وأهم كتبه "المغني"، « فعقد جزءا من أجزائه للكلام في مسألة "خلق القرآن"، وعقد جزءا آخر للكلام في "إعجاز القرآن"، وحشد في هذا الجزء مذاهب أهل الاعتزال في "إعجاز القرآن"، وقد سلك قاضي القضاة عبد الجبار سبيل من سبقه من المتكلمين في الإعجاز، ولكنه من خلال ذلك أراد أن يزيل الإبهام عن معنى "الفصاحة" و "البلاغة"، ويفعل ما لم يفعله أحد قبله ممن كتب في "إعجاز القرآن"، وكان سبيله إلى ذلك مجرد النظر على أسلوب المتكلمين، وهو أسلوب يعلوه صدأ كثير يجلب من الضرر أضعاف ما يجلب من النفع، ولاسيما فيما يتعلق بآداب اللسان وتذوق النفوس»[1].

فهذا هو إسهام القاضي عبد الجبار في "إعجاز القرآن"، فهو إذ يُعدُّ لَبِنةً مهمةً، إلا أنها كانت مشوبة بصدأ الكلام.

• ثم جاء الرجل السابع - على ترتيب شاكر- القاضي عبد القاهر الجرجاني رحمه الله، « جاء أمة وحده، جاء ليضع ميسمه على علم قائم برأسه، لم يسبقه إلى مثله أحد، ثم جاء من بعده ليتموا عمله ببراعة واقتدار، ومع ذلك ظلَّ عمله هو منفردا بسجاياه عن عملهم»، وذكر تذوقه للبيان فقال: « وكان عبد القاهر نحويا متكلما، ولكنه استُودع قدرا باهرا من تذوق البيان، فلم يطمس عليه صدأ الكلام والمتكلمين، وزاده تذوقه بصيرة في النحو»[2].

وعبد القاهر الجرجاني عليه السلام رغم اشتغاله بعلم الكلام والنحو والبيان، فإنه لم ينشغل عن قضية إعجاز القرآن، إذ إنه « لما استوى واشتدَّ، واتسع علمه بالأدب والشعر واللغة حتى صار فيها إماما، كانت قضية "إعجاز القرآن"، التي هي جزء من أجزاء علم الكلام، وجزء مما اختلف فيه المختلفون من المتكلمين، وكتب عبد القاهر "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة"، وبعض رسائله، وكلُّها تدل على أنه لم يفته شيء مما قاله الجاحظ، وأبو عبد الواسطي، والرُّماني، والخطابي، الباقلاني، وعبد الجبار، فوقف على ألفاظ الجاحظ الموحية،

1 - المداخل ص 88-89.
2 - المداخل ص91.

والتي كان ينعت بها ما يجده في نفسه من تذوق القرآن، واستوعب ما زاد عليه فيها الباقلاني، وهو يحاول أن يكشف الإبهام عن معنى "البلاغة"»[1].

هذا هو حجم القاضي عبد القاهر، وهذا هو دوره وجهده في درس إعجاز القرآن، فكان لازما أن يكون حلقة عظيمة من سلسلة سيرة إعجاز القرآن.

ولا يفوتنا هنا أيضا أن نذكر **أهم خصائص هذه المرحلة**، وهي:

- أنها مرحلة تأصيل وتأسيس لقضية الإعجاز، وبخاصة ما فعله الرّماني والخطابي.

- أنّ حركة التأليف في الإعجاز انتشرت وتنوعت، إلا أنها ظهرت في كتب علم الكلام وكتب البلاغة بصفة أظهر وأكثر.

- زيادة العناية بمباحث إعجاز القرآن؛ من جهة بيان ماهيته، وتعريفه، وإظهار وجوهه، ونحو ذلك.

إن شاكرا رحمه الله أوقف التأريخ لقضية الإعجاز عند عبد القاهر الجرجاني، لأن القضية حينها كانت قد استوت واشتدّ عودها، ولا يعني أن إعجاز القرآن الكريم قد انتهت سيرته، بل لا تزال القضية إلى يومنا تحتاج إلى كثير من التحقيق والكشف عن خفاياها وغوامضها.

وقد تكلم الخالدي عن مسيرة درس إعجاز القرآن عبر التاريخ، ابتداء من القرن الثالث حيث ظهرت أول الكتابات في الموضوع إلى القرن الرابع عشر، ثم أفرد بالذكر أهم القرون التي شهدت نهضة وتقدما ملحوظا ومهما في إعجاز القرآن، فقال: «وأهم القرون التي شهدت نهضةَ وتقدمَ إعجاز القرآن ثلاثة:

الأول: القرن الرابع الهجري: الذي شهد "تأسيس" لأفكار وآراء أصيلة حول الإعجاز، قدّمها عالمان متمكنان، هما: الخطابي والرماني.

الثاني: القرن الخامس الهجري: الذي شهد "توسيع" القول في إعجاز القرآن، وبسط الأدلة عليه، وتفصيل القول في وجوهه، وتمّ ذلك على يد العلماء الثلاثة: القاضي عبد الجبار، والقاضي الباقلاني، والقاضي الجرجاني.

---

1 - المصدر نفسه ص 91-92.

الثالث: القرن الرابع عشر الهجري: الذي شهد انطلاقة واسعة كبيرة لإعجاز القـــرآن، على أيدي علماء وأدباء وباحثين، فصّلوا القول في حقيقة الإعجاز، وفي وجوهه وألوانـــه، وفي أمثلته وتطبيقاته»[1].

وهذه خلاصة مهمّة، إلا أن فيها إغفال مرحلتين مهمتين، وهما الأولى والثانية اللّتان أشير إليهما في هذا المبحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني،للخالدي، ص 85.

المبحث الثالث: علاقة الإعجاز بالعرب والشعر الجاهلي عند محمود شاكر.

تمهيد: إنَّ المعرفة بالعرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم، وبكلامهم الذي نزل به أمرٌ مُلِحٌ، وجدير أن يَطْرَقَه الباحثون في قضية إعجاز القرآن الكريم، وذلك لأن العرب هم محلُّ نزول القرآن إذ عليهم نزل، ولسانهم هو اللسان الذي جاء القرآن على سَنَنِه، فالمعرفة بهما - العرب ولسان العرب-، ينفع كثيرا الباحث في موضوع إعجاز القرآن.

إن العرب ولسانهم، وبخاصة الشعر الجاهلي منه؛ والذي هو ديوانُ ورصيد العرب الذي منه وعنه يردون ويصدرون، ينبغي أن تُعْرف خصائصهما، ومميزاتهما حتى يمكن أن نتصور قضية الإعجاز الشائكة تصورا يُدْنِينا من الحقائق العلمية.

لذلك أحببت أن أضع هذا المبحث من مباحث التأصيل لدرس إعجاز القرآن في غضون جهود محمود شاكر الذي طرق الموضوع بمنهجه البديع، وأسلوبه الرفيع، والذي بانت من خلاله تلكم الرابطة القوية بين كل من الإعجاز القرآني من جهة، وبين العرب ولغتهم من جهة أخرى، وهذا ما سيتم توضيحه بجلاء في هذا المبحث، من خلال هذين المطلبين:

المطلب الأول: العلاقة بين الإعجاز والعرب عند محمود شاكر.

المطلب الثاني: العلاقة بين الإعجاز والشعر الجاهلي عند محمود شاكر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: العلاقة بين الإعجاز والعرب عند محمود شاكر.

إنّ هاهنا حقيقة لابد من بيانها، وذلك أنْ نعلم أنَّ لكل شيء بابا ومأتى، واختصارا وتقريبا، فمن أحكم الحكمة إرسال كل نبي بما يفحم أعجب الأمور عند قومه، ويبطل أقوى الأشياء في ظنهم، يُبيِّن الجاحظ هذه الحقيقة، إذ يقول: «...وكذلك دهر محمد ﷺ، كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم، وأجلها في صدورهم، حسن البيان، ونظم ضروب الكلام، مع علمهم له، وانفرادهم به، فحين استحكمت لفهمهم وشاعت البلاغة فيهم، وكثر شعراؤهم وفاق الناسَ خطباؤُهم بعثه الله عزوجل فتحداهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه، فلم يزل يقرِّعهم، وينتقصهم على نقصهم، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبين لأقويائهم وخواصهم، وكان ذلك من أعجب ما أتاه الله نبيًا قطُّ »[1]. ولا بد هنا من إيضاح حقائق مهمّة:

أولا: العرب الذين تحداهم القرآن الكريم.

يُركِّز الأستاذ شاكر تركيزا بالغا على علاقة العرب الذين تُحُدُّوا بالقرآن الكريم الذي نزل متحديا لهم، ويجعل معرفة ذلك سبيلاً لازمًا لإدراك معنى "إعجاز القرآن" من وجه، وللدفاع عن الشعر الجاهلي من وجه آخر، والذي يهمنا هنا هو "الإعجاز"، فيقول في معرض الحديث عن مناسبة التحدي بالقرآن للعرب الذين نزل عليهم :«...ثم أيضا لا معنى لها ألبته- يريد المطالبة للعرب بالإتيان بمثل القرآن الكريم- إلا أن يكون في طاقة هؤلاء السامعين أن يميزوا تمييزا واضحا بين الكلام الذي هو من نحو كلام البشر، والكلام الذي ليس نحو كلامهم»[2].

ويقول في موضع آخر :« أن العرب الذين تحداهم بهذا القرآن قد أوتوا القدرة على الفصل بين الذي هو من كلام البشر، والذي هو ليس من كلامهم»[3].

1- رسائل الجاحظ/ رسالة حجج النبوة، تأليف: أبو عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، :ط1: 1399هـ/1979م مكتبة الجانجي،القاهرة -مصر-،ج3 ص:279-280.

2- المداخل، ص 157-158.

3- المصدر السابق، ص 162.

وقال أيضا :« **أيُّ رجال كان هؤلاء** الذين فوِّض إليهم التفريق بين كلام رب العالمين، وكلام عبيده من البشر»[1].

ثانيا: قدرة العرب على الفصل بين أنواع الكلام.

إن هؤلاء العرب الذين نزل فيهم القرآن كانوا إنما اختصوا بذلك من دون سائر الأجناس لشيء اقتضته حكمة الله سبحانه وتعالى، وذلك لأهلية كانت فيهم بحيث استحقوا أن يكونوا أولى الخلق بأن تنزل فيهم هذه الآية المتلوة الخالدة، ومن هذه الأهلية قدرتهم على الفصل بين أنواع الكلام ومعرفة الغث من السمين.

وقد وقف محمود شاكر على هذه الحقيقة العلمية فقال عنها :« إن أهلها – اللغة العربية قادرون على إدراك هذا الحِجاز الفاصل بين الكلامين وهذا إدراك دال على أنهم قد أتوا من لُطف تذوق البيان، ومن العلم بأسراره ووجوهه، قدرا وافرا يصح معه أن يتحداهم بهذا القرآن، وأن يطالبهم بالشهادة عند سماعه أن تاليه عليهم نبي من عند الله مرسل»[2].

وقال كذلك: «بيِّن أنه لم يطالبهم بذلك التمييز بين نظمه وبيانه، ونظم كلام البشر وبيانهم، إلا وهم قادرون على ذلك التمييز...كانوا يملكون قدرا لا يمكن تحديده من القدرة على تذوق البيان والنظم، تتيح لهم الفصل الواضح بين الذي هو كلام البشر، والذي هو مباين لكلام البشر»[3].

ثم يزيد المسالة بيانا فيقول :« وأما أصحاب اللسان العربي، فمحال أن يَفْجأ الله عباده من عرب الجاهلية بهذا التبيِّن الذي طالبهم به، وهم خِلْوٌ من القدرة عليه، فكان لزاما أن تكون لهم قدرة يعلمها الله سبحانه فيهم، وإن جهلوها هم من أنفسهم من قبل أن يطالبوا بهذا التبيِّن، وإلاّ يكن ذلك كذلك، كانت المطالبة تعجيزا محضا لعباده، يسقط منهم

1- الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ص، 62.
2- المداخل، ص 165.
3- قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم، ص 94-95.

التكليف الذي تقتضيه هذه المطالبة وتعالى الله أن يكلف عباده أمرا يعلم هو سبحانه أنه خارج عن قدرتهم خروجا لا إرادة لهم فيه»[1].

ولعل الذي أعان العرب الأوائل على هذا، هو تذوقهم الفائق للكلام العربي، يقول محمود شاكر مبرزا هذا الأمر: « التذوق الذي كان عليه سائر المسلمين منذ عهد الصحابة الأُول، وتبيُّنهم تبيُّنا لا لبس فيه أن هذا القرآن الذي نزل عليهم بلسان عربيٍّ مبين، ليس يشبه بيانه بيان أئمة الشعراء وأصحاب الألسنة البليغة، وأنه نَمطٌ مُتفرد، لا يطابق تأليفه وتركيبه أنماط المألوف من بيانهم، وهم مطبقون جميعا بهذا التذوق على أنه كلام رب العالمين المُباين لكلام البشر »[2].

ثالثا: مبلغهم من الإعراب عما في أنفسهم

لقد ارتقى العرب في البيان وإعرابهم عما في أنفسهم، بلسانهم العربي المبين، مرتقى صعبا، وبلغوا من ذلك غاية لا تبلغها غاية، حتى صارت لهم في لسانهم القامة السامقة التي لا يلحقها لسان من ألسنة البشر قاطبة، ولعلّ ذلك هو السرُّ في اختيار الله ﷻ هذا اللسان من بين سائر الألسنة، ليكون لغة كتابه الخاتم.

وفي هذا السياق نجد شاكر يقول:« إنَّ الذين اقتدروا على مثل هذه اللغة، وأوتوا هذا القدر من تذوق البيان، ومن العلم بأسراره ومن الأمانة عليه، ومن ترك الجور في الحكم عليه، يوجب العقل أن يكونوا قد بلغوا في الإعراب عن أنفسهم بألسنتهم المبينة عنهم مبلغا لا يدانى»[3].

وها هو الجاحظ يسبق إلى ذلك، حين يوضح أنه « لا يجوز أن يكون مثل العرب في كثرة عددهم، واختلاف عللهم، والكلام كلامهم وهو سيد عملهم، فقد فاض بَيَانُهم، وجاشَت به صدورهم، وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم، حتى قالوا في الحيات والعقارب والذباب والكلاب والخنافس والجُعلان والحمير والحمام، وكلِّ ما دبَّ ودرج، ولاح للعين

1 – قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم، ص 111.
2 – المداخل، ص 74.
3 – المصدر نفسه، ص 165.

وخطر على قلب، ولهم بعدُ أصناف النظم وضروب التأليف كالقصيد، والرجز، والمجانس، والأسجاع، والمنثور...»[1].

رابعا: إنصافهم.

إن العرب قد طُبعوا على أخلاق فاضلة كثيرة، كانت قد فشت فيهم وانتشرت، فقد كان فيهم الحلم والأناة، والكرم والجود، والشجاعة والإقدام، وكانوا يحبون الصدق، والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة، وهذا أمر لا يُنكره إلا مكابر، كيف وقد قال النبي ﷺ: «بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»[2]، ومن هذه الأخلاق النبيلة، حرصهم على العدل والإنصاف، هذا الخلق الذي لم يجرئهم على معارضة القرآن، ولا التفكير في ذلك لحظة من الزمن، وهذه حقيقة قد سجلها التاريخ، فهي غير مدفوعة.

ثم إنَّ محمود شاكر، قد وقف على هذه النكتة، و لم يفوتها لأهميتها، ولأنها ستكون جوابا مقنعا، لمن يسأل، أو يستشكل عن سبب ترك العرب التعرض لمعارضة القرآن الكريم؟ فيقول: « إن البيان كان في أنفسهم أجلَّ من أن يخونوا الأمانة فيه، أو يجوروا على الإنصاف في الحكم عليه فقد قرَّعهم وعيَّرهم وسفه أحلامهم وأدياهم حتى استخرج أقصى الضراوة في عداوتهم له، وظل مع ذلك يتحداهم، فنهتهم أمانتهم على البيان عن معارضته، ومقايضته، وكان أبلغ ما قالوه :(؟؟؟)، ولكنهم كفُّوا ألسنتهم فلم يقولوا شيئا، هذه واحدة

وأخرى أنه لم ينصب لهم حكما، بل خلّى بينهم، وبين الحكم على ما يأتون به معارضين له، ثقة بإنصافهم في الحكم على البيان ،فهذه التخليّة مرتبة من الإنصاف لا تدانيها مرتبة»[3].

---

1 – رسائل الجاحظ، ج3/ص253.

2 – أخرجه أحمد في المسند، من حديث أبي هريرة برقم: 8595، ج18، ص 137، وأخرجه مالك في الموطأ: بلفظ: «بعثت لأتمم حسن الخلق»، برقم: 3357، ج 5، ص 1330. الموطأ، تأليف: مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط1: سنة:1425ه /2004م.

3 المداخل، ص 165.

ويكرر شاكر هذه الحقيقة في موضع آخر من كتابه، وبصيغة أخرى فيقول :« ولكنهم – أي العرب – ألجموا ألسنتهم إلجاما عن معارضته في بيانه، لأنهم وجدوا في أنفسهم مفارقته لبيان البشر وجدانا ألجأهم إلى ترك المعارضة، إنصافا للبيان أن يجار على حقه، وتنزيها له أن يزري به جورهم على هذا الحق »[1].

خامسا: اللسان الذي نزل به القرآن الكريم.

إنَّ نزول القرآن بلغة العرب، وانتقاءها من بين سائر الألسن ليَستوقِف كُلَّ باحثٍ لينظر في سرِّ هذا الاصطفاء ويتبيَّن الحكمة من ذلك لأنَّ القرآن، كما قال الله ﷻ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: 42، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: 195.

وقد اهتم محمود شاكر بلغة العرب أيَّما اهتمامٍ، بل جعلها غايته الأولى التي من أجلها يحي وفي سبيلها يموت، وقد عرف ذلك كل من قرأ للأستاذ رحمه الله.

ثم نرجع فنقول إنّ محمود شاكر في تأصيله لدرس "إعجاز القرآن" الكريم لم يُغفل اللغة طرفة عينٍ، فها هو يقول :« إنّ اللُّغة التي نزل بها القرآن معجزًا قادرةٌ بطبيعتها، أن تحتمل هذا القدر الهائل من المَفْرَقِ بين كلامين : كلام هو الغاية في البيان فيما تطيقه القِوى، وكلام يقطع هذه القِوى ببيانٍ ظاهرِ المباينة له من كلِّ الوجوه»[2].

وقال كذلك في ذكر خصائص هذا اللّسان العربي : « أمّا اللّسان العربيُّ، فبدلالة العقل ينبغي أن يكون قد بلغ يومئذ غاية تفوق ما بلغته الألسنة كلها، وما سوف تبلغه ألسنة البشر إلى آخر زمانهم في إحكام الألفاظ، وفي تناسق جرسه، وفي دقَّة تركيبه، وفي انفساح تفصيله، وفي عمق دلالته، وفي مرونة تصريفه على وجوه البيان، حتى يمكن أن يحمل ضربا

1 – المداخل، ص 174.

2 – المصدر نفسه، ص 164.

من الكلام يكون تذوقه على أنه مباين كل المباينة لكلام البشر، ويكون آية دالة على أن التاليه عليهم وعلى الناس كافة نبيٌّ مرسل ليكون خاتم أنبياء البشر»[1].

وهذه الخصائص كلها مجتمعة في اللسان العربي؛ إنما تدلنا على أنه سيُهيأ لأمر عظيم، ليكون آيةَ العالمين التي لا انقضاء لزمانها ما دام الزمان موجودًا ومخلوقًا يقول محمود شاكر رحمه الله في صدد هذا المعنى:« ولذلك كان مقطوعا به أن لغتهم عند البعثة كانت قد اكتسبت من المرونة واللطف والدقة والإحكام الفائق، مبلغًا يُهيئها لحمل هذه الآية الفريدة في آيات النبيين »[2].

سادسا: العرب والشعر الجاهلي.

يعلم كل من ألمَّ بشيء من أخبار العرب قبل الإسلام ولوعهم الكبير بالشعر الجاهلي، كيف كانوا يحفظونه ويتناشدونه في خلواتهم وجلواتهم، فيجلي محمود شاكر هذه الحقيقة قائلاً :« هذا الشِّعر الذي كان حين أَنزل الله القرآن على نبيه ﷺ، نورا يضيء ظلمات الجاهلية، ويعكف أهله على بيانه عكف الوثني للصنم، يسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثلها لأوثانهم قط، فقد كانوا عَبَدَة البيان قبل أن يكونوا عَبَدَة الأوثان!، وقد سمعنا بمن استخف منهم بأوثانهم، لم نسمع قط بأحد منهم استخف ببيانهم»[3].

وقد جعل محمود شاكر مميزات هذا الشعر العربي التي تكمن في بيانه الرفيع، هي التي ارتقت به، ليفوق بها سائر ألسنة البشر، فقال: «...فالشعر الجاهلي الذي مارس عليه عرب الجاهلية تذوقهم قرونا حتى بلغ التذوق ما بلغ، تكمن فيه وفي بيانه هذه الصفات المربية على ما في سائر الألسنة من الصفات إرباء حقيقا بالتأمل والتبيِّن»[4].

---

1 – قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم، ص 111.

2 – المصدر نفسه، ص 118.

3 – المداخل، ص 188.

4 – قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص118.

فهذا هو مكان الشعر عند العرب، والشِّعر لونٌ من ألوان الكلام العربيِّ؛ إلا أنه قمّة البيان العربي، ففي رِحابه ظهرت طاقة العرب في البيان، الذي حازت منه قصب السبق على الأمم كلها، لذلك كان من المُـــلحِّ أن نُـــفرد الحديث عن الشعر الجاهلي في مطلب خاص، وهو الذي يأتي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: العلاقة بين الإعجاز والشعر الجاهلي عند محمود شاكر.

لقد أوجد محمود شاكر رحمه الله علاقة وطيدة بين "إعجاز القرآن الكريم"، وبين "الشعر الجاهلي"، ربما يكون كثير من الدارسين قد أغفلها، مع أنها من الأهمية بمكان، وسأعمل جاهدا في إبراز هذه الأهمية من خلال النقاط الآتية:

أولا: ارتباط الإعجاز بالشعر الجاهلي :

لقد أبلى شاكر في الشعر الجاهلي بلاءً حسنا اهتدى من خلاله إلى أشياء مهمة في تاريخ هذه الأمة وأدبها، حتى بلغ به الأمر أنْ جعل الشّعرَ الجاهليَّ نفسَه أساس المشكلة في درس الإعجاز فيقول في ثَنايا استدراكه على مالك بن نبي الذي جعل مشكلة الإعجاز هي تفسير القرآن على النهج القديم :« **وإذن فالشعر الجاهلي هو أساس مشكلة "إعجاز القرآن" ...وليس أساس هذه المشكلة هو تفسير القرآن على المنهج القديم**».[1]

ويذكر الأستاذ شاكر هذه العلاقة أيضا في معرض تعريفه بكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي فيقول :«...وأيضا فهي المسألة -يريد إعجاز القرآن-، **التي ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية الشعر الجاهلي** »[2].

ثم يَخلُص إلى أن دراسة الشعر الجاهلي دراسة عميقة جادة تفضي بنا لا محالة إلى التماس بيان وخصائص القرآن الذي أعجز أصحاب هذا الشعر الجاهلي فيقول: «...وجب أن ندرس هذا الشعر دراسة متعمقة، ملتمسين فيه هذه القدرة البيانية التي يمتاز بها أهل الجاهلية عمن جاء بعدهم، ومستنبطين من ضروب البيان المختلفة التي أطاقتها قوى لغتهم وألسنتهم، فإذا تم لنا ذلك، فمن الممكن القريب يومئذ أن نلتمس أن في القرآن الذي أعجزهم بيانه، خصائص هذا البيان المفارق لبيان البشر»[3].

---

1 - المداخل، ص 167.

2 المصدر السابق، ص 156.

3 - المصدر نفسه، ص 170.

ثانيا: إثبات الشعر الجاهلي بطريق هي ألصق بأمر الإعجاز.

كان الشعر الجاهلي محنةَ الأستاذ شاكر كما يذكر عن نفسه في غير ما موضع من جهة إثبات صحة روايته، على من زعم أنه موضوع بعد الإسلام من قبل رواة معروفين، وقد تفانى الأستاذ في رد هذه الفرية السوداء، وقد كلفه ذلك أن يدرس جميع ما طالته يده منه، وفي خضم ذلك الصراع والبحث اهتدى شاكر إلى حقائق مهمة.

من هذه الحقائق التي وقف عندها محمود شاكر حقيقة في غاية الأهمية، فيقول مفصحا عنها: «ودارت بيَ الأيام حتى انتهيت إلى ضرب آخر من الاستدلال على صحة "الشعر الجاهلي"، لا عن طريق روايته وحسب **بل من طريق أخرى هي ألصق بأمر "إعجاز القرآن"**، فإني محصت ما محصت من الشعر الجاهلي حتى وجدته يحمل هو نفسه أدلة صحته وثبوته، إذ تبين فيه قدرة خارقة على "البيان"، وتكشف لي عن روائع كثيرة لا تحدُّ، وإذا هو علم فريدٌ منصوبٌ، لا في أدب العربية وحدها بل في آداب الأمم قبل الإسلام، وبعد الإسلام، وهذا الانفراد المطلق سيما انفراده بخصائصه عن كل شعر بعده من شعر العرب أنفسهم، هو وحده دليل كاف على صحته وثبوته».[1]

لاشك أن هذه الحقيقة العلمية التي اهتدى إليها شاكر بفضل عبقريته، كان لا ينبغي على الدارسين إهمالها، لأنها تسهم في حل كثير من إشكالات درس "إعجاز القرآن"، فإذا كان الشعر الجاهلي الذي هو عبارة عن صنعة بشرية، لا يطيق العرب أنفسهم الذين جاؤوا من بعد أن يأتوا بمثله، فكيف بالقرآن الكريم الذي هو كلام الله العظيم؟، الذي قال الله عنه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ الإسراء: 88.

وقد وجدت ابن كثير يقرر هذه الحقيقة وذلك في معرض حديثه عن دلائل نبوته ﷺ، إذْ يقول: « وهذا القرآن الذي يبلغه الرسول ﷺ عن الله ﷻ، كلام له أسلوب لا يشبه

1 - المداخل، ص 168.

أساليب كلام رسول الله ﷺ، وأساليب كلامه عليه الصلاة والسلام، المحفوظة عنه بالسند الصحيح إليه لا يقدر أحدٌ من الصَّحابة و لا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه في فصاحته وبلاغته فيما يرومه من المعاني بألفاظه الشريفة، بل وكلام الصحابة أسلوبٌ أعلى من أساليب التابعين، وهلُمَّ جرًّا إلى زماننا، وعلماء السلف أفصح وأعلم وأقلُّ تكلفا في أداء ما يريدونه من المعاني بألفاظهم، من علماء الخلف، وهذا يشهده من له ذوق بكلام الناس، **كما يُدرك تفاوت ما بين أشعار العرب في زمن الجاهلية وبين أشعار المولدين الذين كانوا بعد ذلك**»[1].

ثالثا: بيان الفرق بين الشعر الجاهلي كشاهد للتفسير والشعر الجاهلي كدليل على إعجاز القرآن الكريم.

وهذه حقيقة أخرى أوقفنا عليها شاكر لها مكانها في درس علوم القرآن، تكمن في ضرورة التفريق بين الشعر الجاهلي كشاهد لتفسير القرآن الكريم، والشعر الجاهلي كدليل على إعجاز القرآن.

يقول الأستاذ شاكر: « وكل ما عند القدماء من ذكر الشعر الجاهلي في تفسيرهم، فهو أنهم يستدلون به على معنى حرف في القرآن، أو بيان خاصة من خصائص التعبير العربي، كالتقديم والتأخير والحذف وما إلى ذلك، وهذا أمر يصلح له شعر الجاهلية، كما يصلح له شعر الإسلام، وغاية تفسير القرآن -كما ينبغي أن نعلم-، إنما هي بيان معاني ألفاظه مفردة، وجمله مجتمعة، ودلالة هذه الألفاظ والجمل على المعاني، سواء في ذلك آيات الخبر والقصص، وآيات الأدب وآيات الأحكام، وسائر ما اشتملت عليه معاني القرآن وهو أمر عن "إعجاز القرآن" بمعزل .

1 – البداية والنهاية، تأليف: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ، د ت ط، ج8 ص 548-549.

أما الأمر المرتبط بالشعر الجاهلي، أو بقضايا الشعر جميعا، والمتصل بأساليب الجاهلية وغير الجاهلية، وأساليب العربية وغير العربية ومقارنتها بأسلوب القرآن، فهو علم "إعجاز القرآن"، ثم "علم البلاغة"»[1].

بل يذهب شاكر إلى أبعد من ذلك في الإشادة بوظيفة الشعر الجاهلي، وأنه كان كترا لعلوم العرب جميعا، يحتاج كل علم من هذا الشعر نصيبا على قدره، ولكن غاب أو غُيِّب عن الدارسين أعظم ما بقي لهذا الشعر في تقدير الأستاذ شاكر، وهو جعله أي الشعر الجاهلي مادة لدراسة البيان المفطور في طبائع البشر، ثم مقارنته ببيان القرآن حتى يصل الدارس بذلك إلى الإقرار بأن بيان القرآن من غير جنس بيان البشر ألبته، فيقول شاكر مبينا عن هذه القضية: «...بقي -أي الشعر العربي- للغة العرب، وشاهدا على حرف من العربية، وعلى باب من النحو، وعلى نكتة في البلاغة، وبقي ذخرا للرواة ورِكازًا يستمدُّ منه شعراء الإسلام، ومنبعا لتاريخ العرب في الجاهلية، بل بقي كنْزا لعلوم العرب جميعا، لكل علمٍ منه نصيب على قدره .

ولكن غاب عنّا أعظم ما بقي لهذا الشعر :أن يكون مادة لدراسة البيان المفطور في طبائع البشر، مقارِنا بهذا البيان الذي فات طاقة بلغاء الجاهلية، وكانت له خصائص ظاهرة تجعل كل مقتدر بليغ مبين، وكل متذوق للبلاغة والبيان، لا يملك إلا الإقرار له، بأنه من غير جنس ما يعده سمعه وذوقه، وأنّ مبلغه إلى الناس نبي مرسل، وأنه لا يطيق أن يختلقه أو يفتريه، لأنه بشر لا يدخل في طوقه إلا ما يدخل مثله في طوق البشر، وأنه إن تقوَّل غير ما أُمر بتبليغه وتلاوته، بان للبشر كذبه، وحقَّ عليه قول مترله من السماء ﷻ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الحاقة: 44 – 46»[2].

1 مداخل إعجاز القرآن، ص 152-153

2 - المصدر السابق، ص 172-173.

رابعا: بيان العلاقة بين إعجاز القرآن وصحة النبوة.

لقد استطاع الأستاذ شاكر بدقة تصوُّره لدرس الإعجاز أن يصل إلى قضيّة مهمَّة في آيات الأنبياء، وذلك أن الأنبياء عليهم السلام «كان يأتي النبي ومعه شيئان:
آية، و بلاغ، آية معاينة يشاهدونها بأعينهم ... وبلاغ ملفوظ يحدثهم به بلسانه، عن وحي يوحيه الله إليه ...فلما شاء ربنا أن يختم النبوة في الأرض برسول من العرب يرسله إليهم وإلى الناس كافة، اختلف النهج اختلافا بيِّنا، فاصطفى لمشيئته عبده محمدا ﷺ...، وأبى الله أن تكون له آية معاينة يشاهدونها بأعينهم فأرسله الله ومعه بلاغان ملفوظان :

البلاغ الأول: بلاغ ملفوظ وهو قرآن يترل عليه من فوق سبع سموات منجما بلسان عربي مبين، أمره أن يقرأه على مكث، وأن يبيَّن لهم لأنه كلام الله أنزله بلسانهم، لا كلامه هو.

البلاغ الثاني: بلاغ ملفوظ أيضا، كالذي أُوتِيَه النبيون من قبله، يحدثهم به بلسانهم عن وحي يوحيه الله إليهم، وتجب طاعتهم فيما يحدثهم به عن ربِّه»[1].

ثم قال مميزا بين آيات الأنبياء، و آية نبينا: «...فآيته ﷺ باقية آثارها في نفس كل من آمن به، وآيات الأنبياء من قبله معايَنَة مشهودة توجب الإيمان بنبوتهم، ولكنها تنقضي بانقضاء حدوثها»[2].

وفي هذا الصدد من القول، فإني وجدت للجاحظ كلاما بالغ الأهمية، يتعلق بهذه المسألة تعلقا وطيدا، إذ يقول: «...مع أنّ محمدا ﷺ مخصوص بعلامة لها من العقل موقع، كموقع فلْقِ البحر من العين، وذلك قوله لقريش خاصة، وللعرب عامة - مع ما فيهما من الشعراء والخطباء والبلغاء، والدهاة، والحلماء، وأصحاب الرأي والمكيدة، والتجارب والنظر في العاقبة-: (إن عارضتموني بسورة واحدة فقد كَذبْتُ في دعواي، وصدقتم في تكذيبي)»[1].

---

1 - الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص 108-109.

2 - المصدر نفسه، ص 115.

وهذا كله يدل على أن القرآن آية تفوق كل الآيات، وذلك لما كان مَدركها العقل دون البصر، ولا شك أن مَـــدرك العقل أعظم من مَـــدرك سائر الحواس الأخرى، ولأجل ذلك امتدت معجزة القرآن لهذه الدهور والأحقاب الطويلة.

ثم إن الأستاذ شاكر انتبه إلى أمر بالغ الأهمية والخطورة، ألا وهو تحديد العلاقـــة بـــين إعجاز القرآن الكريم، وصحة النبوة فيقول الأستاذ شاكر: «...فالقرآن المعجز هو البرهـــان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة، فليست برهانا على إعجاز القرآن ».[2]

ويبين شاكرٌ هذه العلاقة بيانا أجلى فيقول :« إثبات دليل النبوة، وتصديق دليل الوحي، وأن القرآن تنزيل من عند الله كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور، وغيرها مـــن كتـــب الله سبحانه لا يكون منها شيء يدل على أن القرآن معجز ولا أظن أن قائلا يستطيع أن يقول إن التوراة والإنجيل والزبور كتب معجزة، بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن من أجـــل أنها كتب منزلة من عند الله »[3].

ونجد هذا المعنى بعـــينه قد سبق إليه الباقلاني إذ يقول :« وأن ليس شيء من ذلـــك -أي الكتب السابقة - بمعجز في النظم والتأليف، وإن كان معجزا كالقرآن فيما يتـــضمن مـــن الإخبار بالغيوب، وإنما لم يكن معجزا لأن الله ﷻ لم يصفه بما وصف به القرآن، ولأنَّـــا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع التحدي إلى القرآن، ولمعنى آخر وهو أن ذلـــك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حـــد الإعجـــاز ولكنه يتقارب»[4].

ثم يحـــذر الأستاذ من الخلط بين الصورتين، وما أفضى إليه الأمر من تخليط شديد بتـــرك التفريق بينهما فيقول: « وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظـــر وفي دراســـة "إعجـــاز

=

1 - رسائل الجاحظ، ج3/ص273.

2 - المداخل، ص 155.

3 - المصدر نفسه، ص 154.

4 - إعجاز القرآن، للباقلاني، ص31.

القرآن"، قد أفضى إلى تخليط شديد في الدراسة قديما وحديثا، بل أدى هذا الخلط إلى تأخر "علم إعجاز القرآن" و"علم البلاغة" عن الغايـــة التي كان ينبغي أن ينتهيا إليها»[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 المداخل، ص 155.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

إن من أهم المسائل وأكثرها تعقيدا في درس إعجاز القرآن الكريم؛ مسألة بيان الوجه الذي كان منه القرآن معجزا، وقد تكلَّم العلماء في وجوه القرآن، فتباينت آراؤهم، بل وتضاربت، وقد كان محمود شاكر من العلماء الذين أَدْلَوْا برأيهم في هذه المسألة، وقد كان رأيه مهما؛ لذلك عقدت هذا الفصل، لأبيِّن فيه كيف أَسْهَمَ شاكرٌ في هذه المسألة المهمة، وذلك من خلال هذه المباحث:

المبحث الأول: صفة الكلام عند الفرق الإسلامية.

المبحث الثاني: القول بالصَّرفة عند محمود شاكر.

المبحث الثالث: التذوق عند محمود شاكر.

المبحث الرابع: وجه الإعجاز عند محمود شاكر وموقفه من الوجوه الأخرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: صفة الكلام عند الفرق الإسلامية.

من المعلوم أن إعجاز آية النبي ﷺ، يكمُن في هذا القرآن الذي جاء به متحديا للعالمين إنسهم وجنهم، لذلك أرى من المهم أن أمهد بهذه المقدمة التي تتعلق ببيان عقائد الفرق الإسلامية، في صفة الكلام الله ﷻ، والذي يعدُّ منها القرآن الكريم، فهو من كلام الله ﷻ الذي هو صفته، قَالَ تَعَالَى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ التوبة: 6.

ولا شك أن الذي حَدَاني إلى وضع هذا المبحث بين يدي بيان وجوه الإعجاز عند شاكر رحمه الله، هو موقف شاكر نفسه الذي كان منه مع هذا الأمر، حيث إنه انتبه للتراع الذي قام بين الفرق الإسلامية حول صفات الله ﷻ، وكيف كان لذلك الأثر البارز في الحديث عن آيات الأنبياء.

يقول محمود شاكر متحدثا عن اختلاف الفِرَقِ وخصوماتهم التي قامت حول صفةِ كلام الله ﷻ: «..حتى انتهوا - أي المتكلمون- إلى صفة من صفاته ﷻ، وهي صفة"الكلام"، فعندئذ كثرت لُجَاجتهم في أن كلامه ﷻ عَرَضٌ أو جسم، فإن كان عرضا فقد أحدثه إحداثا، وإن كان جسما فإن الجسم لا يقوم بالجسم ؛ وشيئا كثيرا كهذا ليس هنا مكان تفصيله، كان محصل اختلاف جماعاتهم في النظر هو أن الله ليس بمتكلم أصلا، وأن كلامه ﷻ ليس قائما بذاته بل هو خلق يحدثه، فيكون كلاما»[1].

1 - المداخل، ص 36.

وسأتناول هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان ارتباط مسألة الإعجاز بالعقيدة في كلام الله ﷻ.

المطلب الثاني: مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام.

المطلب الثالث: مذهب المعتزلة في صفة الكلام.

المطلب الرابع: مذهب الأشاعرة في صفة الكلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: بيان ارتباط مسألة الإعجاز بالعقيدة في كلام الله ﷻ.

أعتقد أن مسألة الوقوف على الإعجاز وماهيته، قائمة أصالة في جهة من جهاتها على الاعتقاد في القرآن الكريم، هل هو كلام الله حقيقةً، أم حكايةٌ عن كلام الله، أم أنّه خلقٌ من مخلوقات الله، إذ لا يستوي من يبحث في القرآن على أنه خلق من مخلوقات الله ﷻ، أو أنه عبارة أو حكاية لكلام الله ﷻ، ومن يعتقد أنه كلام ﷻ لفظه ومعناه وأنه غير مخلوق، فنتائج البحث سترجع لمحالة إلى تلك الاعتقادات.

لذلك أجدني بحاجة إلى تقديم هذا المبحث في بيان عقائد الفرق والتي كان لها الأثر البارز في درس إعجاز القرآن الكريم، أعني بهما فرقتي المعتزلة والأشاعرة، وبإزائهما مذهب أهل السنة والجماعة.

ولبيان العلاقة الوطيدة لهذه المسألة بدرس الإعجاز -فيما أحسب-، وإظهار النزاع القائم بين المذاهب المذكورة، سأذكر نقولا عن أهل العلم في هذه القضية، مبتدءا بكلام محمود محمد شاكر:

• يقول رحمه الله مزيفا المذاهب المنحرفة في مسألة كلام الله ﷻ عن جادة الحق: « فكيف يكون "كلامٌ عربيٌّ مبينٌ" آيةً على شرطهم هذا في "العجز" الذي تسلِّم به بديهة المعاينة، وبديهة العقل، وبديهة قدرة الخليقة ؟

كيف وفي سرِّ أقوالهم وطوايا نظرهم في صفات الله ﷻ أنه ليس بمتكلم أصلا، وأن كلامه ليس قائما بذاته، بل هو خلق يحدثه فيكون كلاما ؟»[1].

• ويقول منير سلطان في كتابه القيِّم "إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة" يصف كيف كان النزاع بينهم حول «...الكلام القديم والكلام المحدث المخلوق، ..وتطرق بهم الجدل إلى نظرية الإعجاز، وكان جدلهم يدور حول إعجاز المتلو، لا إعجاز القائم بالذات الإلهية، ثمّ راح المعتزلة ينظرون إلى القرآن، نصا دينيا مخلوقا، فظهر بينهم رأي "الصَّرفة"، وظهرت قضية تفضيل اللفظ على المعنى.

---

1 - المداخل، ص39-40.

ولكن الأشاعرة قد رفضوا رأي الصَّرفة وبهرجوه، وجنحوا، على يد الجرجاني[1] رحمه الله ، إلى تفضيل المعنى، ويقصد به ذلك المعنى القائم بالنفس»[2].

• ويقول ابن كثير رحمه الله صاحب التفسير المشهور مؤكدا هذا المعنى وسابقا إليه: « وأما من زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صرف دواعي الكفرة عن معارضته مع إمكان ذلك، أو سلب قدرتهم على ذلك، فقول باطل، وهو مفرع على اعتقادهم أن القرآن مخلوق، خلقه الله في بعض الأجرام، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق، وقولهم هذا كفرٌ وباطلٌ، وليس بمطابق لما في نفس الأمر، بل القرآن كلام الله غير مخلوق، تكلم به كما شاء تعالى وتقدّس وتنزّه عمَّا يقولون علوًا كبيرًا»[3].

فهذه النُّقول كلُّها متظافرة لأجل بيان هذه الحقيقة العلمية، وهي أن درس الإعجاز له علاقةٌ قويّةٌ باعتقاد الفرق في كلام الله سبحانه وتعالى، إذْ إن سائر الآراء المتنوعة ستَنْبثِقُ عن تلكم العقائد.

---

1 – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: شيخ العربية ، صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، صنف شرحا حافلا "للإيضاح"، يكون ثلاثين مجلدا، وله"إعجاز القرآن" ضخم، و"مختصر شرح الإيضاح" ثلاثة أسفار، وكتاب"العوامل المائة"، وكتاب"المفتاح"، وفسر الفاتحة في مجلد، وغير ذلك . وكان شافعيا، عالما، أشعريا، ذا نسك ودين.

قال السِّلفي:كان ورعًا قانعا، دخل عليه لصٌّ، فأخذ ما وجد، وهو ينظر، وهو في الصلاة فما قطعها. وكان آية في النحو. توفي: سنة إحدى وسبعين وأربع مائة وقيل: سنة أربع وسبعين. سير أعلام النبلاء: ج 18 ص432 – 433، وينظر معه: بغية الوعاة ج2ص106، شذرات الذهب ج3ص 340-341، طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين عبد الوهاب السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ،ط1: :1383هـ/1964م،ج5 ص149-150.

2 - إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة،تأليف: منير سلطاني، دار: منشأة المعارف، القاهرة–مصر–، ط3، سنة:1986م، ص225.

3 - البداية والنهاية، لابن كثير، ج8 ص547.

المطلب الثاني: مذهب أهل السنة والجماعة* في صفة الكلام.

كان من أوائل المسائل التي خاض فيها أهل الأهواء مسألة "خلق القرآن"، « والتي تولى كِبْرها صناديد المعتزلة وجبابرتهم، ...ابتدأت على يد المأمون في سنة 212هـ، إلى أن توفي سنة 218هـ، ومرت على عهد المعتصم بالله، وعهد الواثق بالله، ثم أطفأها الله بيد المتوكل على الله سنة 242هـ »[1].

وقد اعتنى أئمة السلف بهذه المسألة وبتقريرها للأمة، فأودعوها كتبهم في العقائد، فلا يكاد يخلو كتاب منها، يقول أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية[2] رحمه الله: «... ومثل هذا :"الكلام"؛ فإن السلف وأئمة السنة والحديث يقولون : **إنه يتكلم بمشيئته وقدرته ؛ وكلامه ليس بمخلوق ؛ بل كلامه صفة له قائمة بذاته.** وممن ذكر أن ذلك قول أئمة السنة : أبو عبد الله ابن منده[3]

---

* **مذهب أهل السنة والجماعة:** ومن أسماءه مذهب السلف، ومذهب أهل الحديث، وأهل الأثر والطائفة المنصورة، يؤمنون بالله الإيمان الجازم وما يجب له من التوحيد والطاعة، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية كانت أم عملية. الموسوعة المعاصرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حمّاد الجهنيّ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع -المملكة العربية السعودية-، ط4 : سنة 1420هـ، ج1 ص 36، معجم ألفاظ العقيدة، تأليف: أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، مكتبة العبيكان الرياض - المملكة العربية السعودية، ط2: 1420هـ/2000م، ص 54.

1 – المداخل، ص37.

2 – أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره. ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة بحران. وشرع الشيخ في الجمع والتصنيف، من دون العشرين، ولم يزل في علو وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره.

توفي ليلة 20ذي القعدة 728هـ، الذيل على طبقات الحنابلة، تأليف: عبد الرحمن بن رجب، حققه وقدم له وعلق عليه: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، سنة: 1425هـ/2005م، ج 4 ص 491-529.

3- محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده، العبدي "نسبة إلى عبد ياليل" الأصبهاني (310 هـ-): من كبار حفاظ الحديث. الراحلين في طلبه، المكثرين من التصنيف فيه.من كتبه "فتح الباب في الكنى والألقاب، والرد على =

وأبو عبد الله ابن حامد[1] وأبو بكر عبد العزيز[2] وأبو إسماعيل الأنصاري[3] وغيرهم ؛ وكذلك ذكر أبو عمر بن عبد البر[4] ...وأئمة السنة – كعبد الله بن المبارك[1] وأحمد بن حنبل[2]

=

الجهمية، معرفة الصحابة، و التوحيد ومعرفة أسماء الله عزوجل وصفاته على الاتفاق والتفرد في سبعة أجزاء"-كلها مخطوطة، قال ابن أبي يعلى: بلغني عنه أنه قال: كتبت عن ألف وسبعمائة شيخ.

توفي عام 395 ه سير أعلام النبلاء ج18/ص349، وينظر ترجمته في: طبقات الحنابلة، تأليف: القاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، طبعة عام: 1419هـ-1999م. ج2 ص 242، البداية والنهاية 12 / 118، شذرات الذهب 3 / 337 – 338.

1 – أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي، الوراق شيخ الحنابلة ومفتيهم، ، مصنف كتاب"الجامع"في عشرين مجلدا في الاختلاف، وكان يتقوت من النسخ، ويكثر الحج، وهو أكبر تلامذة أبي بكر غلام الخلال.

هلك شهيدا في أخذ الوفد سنة 403هـ.سير أعلام النبلاء 17/203-204، طبقات الحنابلة 2 / 171 - 177، 264، شذرات الذهب 3 / 166، 167، الكامل في التاريخ، تأليف: أبي الحسن بن محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى: سنة 1407هـ/1987م، ج9 ص 242.

2 – غلام الخلال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد البغدادي: الشيخ، الإمام، العلامة، شيخ الحنابلة، الفقيه، تلميذ أبي بكر الخلال. وُلد سنة خمس وثمانين ومائتين.وكان كبير الشأن، من بحور العلم، له الباع الأطول في الفقه، ومن نظر في كتابه: "الشافي"عرف محله من العلم لولا ما بشَّعه بغض بعض الأئمة، مع أنه ثقة فيما ينقله.

توفي في شوال سنة ثلاث وستين وثلاث مائة. سير أعلام النبلاء 16/144-145. وينظر ترجمته: البداية والنهاية 11/278، شذرات الذهب 3/45-46.

3 – أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري: كان يدعى شيخ الإسلام وكان إمام أهل السنة بهراة ويسمى خطيب العجم لتبحر علمه وفصاحته ونبله، وكان شديداً على الأشعرية.

وتوفي عبد الله الأنصاري على ما بلغنا سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . طبقات الحنابلة: ج3 ص 458، ينظر ترجمته، التحبير في المعجم الكبير، المؤلف : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد، تحقيق : منيرة ناجي سالم، الناشر : رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد، ط1، 1395هـ/1975م: ج 1 ص 361. في الأعلام للزركلي: ج4 ص122.

4 – ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي الإمام، العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف الفائقة، ولد سنة (368هـ)-،وطلب العلم بعد التسعين وثلاث مائة، وأدرك الكبار، =

والبخاري[3] وعثمان بن سعيد الدارمي[4] ومن لا يحصى من الأئمة »[1].

=

وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، ومن نظر في مصنفاته، بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسيلان الذهن.

توفي سنة 463هـ . سير أعلام النبلاء 153/18-، وينظر ترجمته في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تأليف: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، تحقيق: محمد بن ويْت الطنجي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، ط2: سنة 1403هـ/1983م. ج8ص 130/127، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تأليف: القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنّان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1: سنة 1417هـ/1997م، ص 440. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف: محمد بن محمد مخلوف، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان،د ت ط. ج1 ص 119.

1 - عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي: الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته:ولد عام (118هـ)، ارتحل ابن المبارك إلى: الحرمين، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان، وحدث بأماكن، قال العباس بن مصعب: جمع عبد الله الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبة عند الفرق.

توفي سنة 181هـ. سير أعلام النبلاء 378/8-421، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة ،سنة: 1405هـ، 8 ص 162، العبر في خبر من غبر، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، د ت ط: ج1 ص 280، شذرات الذهب: 1 / 295.

2 - أحمد بن حنبل: هو الإمام المعروف صاحب المذهب المشهور (164هـ)، أحد الأئمة الأعلام، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، في العالم الذي مات فيه مالك، وحماد بن زيد، قال إبراهيم الحربي: رأيت أبا عبد الله، كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين.

توفي عام 241هـ . السير أعلام النبلاء 177/11-358، طبقات الحنابلة 1 / 4، 20، البداية والنهاية 10 / 325، 343،شذرات الذهب 2 / 96، 98.

3 - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح المعروف، ولد سنة 194هـ، من أئمة الإسلام انتهى إليه حفظ الحديث وكتاب أصح كتب الحديث على الإطلاق. توفي سنة 269هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء 391/12-471، طبقات الحنابلة 1 / 271، 279، طبقات الشافعية للسبكي 2 / 212، 241، شذرات الذهب 2 / 134، 136.

4 - الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار، أبو سعيد عثمان بن سعيد التميمي، الدارمي، السجستاني، ولد عام 200هـ، صاحب "المسند" الكبير والتصانيف، وصنف كتابا في "الرد على بشر المريسي" وكتابا في "الرد على الجهمية"، وأخذ علم الحديث وعلله عن علي ويحيى وأحمد، وفاق أهل زمانه، وكان لهجا بالسنة، بصيرا بالمناظرة.

=

فهؤلاء أئمة السلف كان كلهم مجتمع على أنّ القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق، وهو صفته، نؤمن بذلك كله على قانون القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: 11.

=

توفي سنة: 280هـ. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 13/319-326، طبقات الحنابلة: 1 / 221، طبقات السبكي: 2 / 305 - 306، البداية والنهاية: 11 / 69، شذرات الذهب: 2 / 176.

1 – جامع الرسائل، التأليف: تقي الدين بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، ط1: 1422هـ /2001م، ج2/ص4.

المطلب الثالث: مذهب المعتزلة* في القرآن الكريم.

من أوائل الفرقة الإسلامية التي نبتت نابِتَـتُها ونجم نجمها: "فرقة المعتزلة" علـى يـد واصل بن عطاء[1] الذي كان من أهل مجلس الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ ثم اختلف معه في مسألة صاحب الكبيرة، فانشق عنه واعتزله قيل لذلك سمي أصحابه بالمعتزلة.

ولقد كانت البدايات الأولى للمعتزلة مع القدر، والأسماء والصفات، والإيمان وما يتعلق بصاحب الكبيرة، ثمّ لما تطاول الزنادقة على الإسلام وكتابه القرآن الكريم، ظهـر أعـلام الاعتزال للدفاع على بيضة الإسلام من الزندقة والتحذير من أهلها، الأمر الذي جـرهم إلى الدفاع عن القرآن الكريم، وبيان أنه آية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه أعظم آية أرسـلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى الثقلين جميعا إنسهم وجنِّهم من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَام إلى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأرادوا أن يـدفعوا الزَّندقة في نحرها، فأحدَثوا بِدَعًا مُتكاثرة، وردوا الإلحاد بالابتداع، وتلك سـبيلٌ ليـست بالقويمة.

---

* **المعتزلة**: فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة.
فقد أُطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية، والعدلية، وأهل العدل والتوحيد، والمقتصدة والوعيدية.
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج1 ص 64، معجم ألفاظ العقيدة، ص 43.

1 – واصل بن عطاء البليغ الأفوه أبو حذيفة المخزومي، مولاهم البصري الغزال، مولده سنة ثمانين بالمدينة، وكان يلثغ بالراء غينا، فلاقتداره على اللغة وتوسعه يتجنب الوقوع في لفظة فيها راء، وهو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال. طرده الحسن عن مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، فانضم إليه عمرو، واعتزلا حلقة الحسن، فسموا المعتزلة.
قيل: مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. سير أعلام النبلاء ج 5ص465 . وينظر ترجمته في: وفيات الأعيان 6 / 7، 11، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، ط1: 1407هـ/1987م، ج8 ص 558، شذرات الذهب 1 / 182.

ولما كان القرآن، البحث فيه يتعلق بكلام الله ﷻ، فإن الحديث عنه سيكون متفرعا عن الحديث في كلام الله ﷻ الذي هو صفته، والمعتزلة -كما هو معلوم- مذهبها في كلام الله أنه مخلوق، وليس صفة لله ﷻ.

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي[1] في بيان عقيدة المعتزلة في كلام الله ﷻ: « وقد أطلق مشايخنا كلهم في القرآن أنه مخلوق، حتى إنَّ في كلام الجعفريْن* ما يقتضي أن الممتنع من إطلاق ذلك يكفر لإيهامه أنه قديم...»[2].

وقال أيضا في موضع آخر من الكتاب نفسه: «قد بيَّنا أنه لا دليل على إثباته متكلما من جهة الأفعال، بل إنما يُعرف متكلما بوقوع الكلام من جهته، ومعلوم أنّ مجرد وقوع الكلام لا يدل على أنه كلامه، وأنه هو الله تعالى المتكلم به، ما لم تكن هناك دلالة تقتضي ذلك...»[3].

1- القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني: العلامة، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة ، تخرج به خلق في الرأي الممقوت.

مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مائة، من أبناء التسعين: سير أعلام النبلاء ج245/17، وينظر ترجمته: تاريخ بغداد، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: الدكتور بشار عواد معروف الناشر : دار الغرب – بيروت،عام 1422هـ/2001م. ج11 / 412 – 416رقم الترجمة 5759، العبر 3 / 119، طبقات السبكي 5 / 97، 98، طبقات الشافعية، المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت -، ط1: 1407هـ. ج1 ص 184، طبقات المفسرين للسيوطي 16، 258.

* وهما: جعفر بن حرب، وجعفر بن مبشر، ينظر موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، تأليف: عبد المنعم الحفني، دار الرشد القاهرة -مصر-، ط1: 1431هـ/1993م، ص361.

2 – المحيط بالتكليف، تأليف القاضي عبد الجبار المعتزلي، جمع: الحسن بن أحمد متوية، تحقيق: عمر السيِّد عزمي، مراجعة الدكتور : أحمد فؤاد الأهواني، الشركة المصرية للطباعة، القاهرة-مصر-، د ت ط، ص 331.

3 – المحيط بالتكليف، للقاضي عبد الجبار، ص 323.

ولما اعتقدت المعتزلة هذا الاعتقاد في كلام الله ﷻ بأن جعلته مخلوقا من مخلوقاته ﷻ، فبالتالي قاسته على آيات الأنبياء الأخرى، ذلك الذي جرّ بعض أعيانها إلى مذاهب رديّـــــةٍ في إعجاز القرآن كمثل القول بالصَّرفة ونحو ذلك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: مذهب الأشاعرة* في صفة الكلام.

إن مذهب الأشاعرة من المذاهب العقدية التي استقطبت كثيرا من الأتباع♦،وهو مذهب كلاميٌ معروف قام بإزاء مذهب الاعتزال على يد إمامه الأول أبو الحسن الأشعري[1]، فقاومه مقاومة عنيفة، ورد على نظّاره في مسائل كثيرة، لعل الذي يهمنا منها مسألة كلام الله ﷻ.

---

* **الأشاعرة:** هي فرقة كلامية تنسب لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(260هـ-336هـ)، مذهبهم مركب من الوحي والفلسفة، ومن معتقدهم أنهم قالوا بأنّ لله سبع صفات عقلية يسمونها معاني، هي:« الحياة – العلم – القدرة – الإرادة – السمع – البصر – الكلام»، ونفوا التعليل في أفعال الله مطلقا، وقالوا بتقديم العقل على النقل، وأولوا آيات الصفات.ينظر: مذاهب الإسلاميين، تأليف: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان –، ط3: 1983.ص 50-52، في علم الكلام "دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية"، تأليف الدكتور:أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان –، ط5 : 1405-1985.ج1/ص534-568.

♦ وقد ذكر شيخ الإسلام كلاما مهما في أسباب انتشار مذهب الأشاعرة، ونحوه من مذاهب الصفاتية فقال:

«أحدها: كثرة الحق الذي يقولونه، وظهور الآثار النبوية عندهم.

الثاني: لبسهم ذلك بمقاييس عقلية بعضها موروث عن الصابئة، وبعضها مما ابتُدِع في الإسلام ابتدعه إمّا هم، وإمّا غيرهم، واستيلاء ما في ذلك من الشبهات عليهم، وظنهم أنه لم يمكن التمسك بالأثارة النبوية من أهل العقل والعلم إلا على هذا الوجه.

الثالث: ضعف الأثارة النبوية الدافعة للشبهات، والموضحة لسبيل الهدى عندهم.

الرابع: العجز والتفريط في المنتسبين إلى السنة والحديث، تارة يروون ما لا يعلمون صحته، وتارة يكونون كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ». تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دراسة وتحقيق: عبد العزيز محمد الخليفة، مكتبة الرشد الرياض، ط1: 1417هـ/1996م، ج2 ص 756.

1 – علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة سنة 260هـ، وكان عجبا في الذكاء، وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله ﷻ منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم.

وتوفي ببغداد. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب. سير أعلام النبلاء ج 15 ص85، وينظر ترجمته في: البداية والنهاية: 11 / 187، الديباج المذهب: 193 - 194، شذرات الذهب: 2 / 303 - 305. الأعلام للزركلي: ج 4ص263.

فالأشاعرة تسفّه المعتزلة في جعلها كلام الله ﷻ مخلوقا، وتعدّ ذلك ضلالا مبينا، وهي ترى أن كلام الله ﷻ صفة له، وجعلته كلاما نفْسيًا قديمًا، فهذا أبو المعالي الجويني رحمه الله[1] من أكابر أئمة الأشاعرة يقول في تعريف صفة الكلام لله ﷻ: «والأولى أن نقول في الكلام، هو القول القائم بالنفس، وإن رُمنا تفصيلا، فهو القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات ونحوها»[2].

وقال في موضع آخر: «وذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس، وهو الفكر الذي يدور في الخَلَد[3]، وتدلّ عليه العبارات تارة، وما يُصطلح عليه من الإشارات ونحوها أخرى»[4].

ومن خلال هذا العرض لعقائد هذه الفرق الإسلامية، يتبينُ لنا المباينة الحاصلة في صفة الكلام عموما، والقرآن الكريم خصوصا، يقول ابن تيمية رحمه الله عن المعتزلة والأشاعرة في قضية كلام الله ﷻ: « والطائفتان جميعًا تُنكران أن يكون الله تكلم بحروف القرآن، أو أنها كلامه على المعنى المعروف الذي يعلمُ النَّاس أنه بكلام المتكلم»[5]، وبالتالي فإنه من المهم على الباحث أن لا يغيِّبَ هذا التقرير في مسألة إعجاز القرآن

---

1 – عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين ، ولد عام 419هـ أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي. ولد في جوين "من نواحي نيسابور" ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعا طرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، فبنا له الوزير نظام الملك "المدرسة النَّظامية" فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. له مصنفات كثيرة، توفي سنة: 478هـ . سير أعلام النبلاء: ج18 ص468، وينظر ترجمته في: طبقات السبكي 5 / 165 – 222، البداية والنهاية 12 / 128 – 129.

2 – الإرشاد إلى قوطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تأليف: أبو المعالي عبد الملك الجو يني، تحقيق: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت –لبنان–، ط1 :1405هـ/1985م، ص 108.

3– الخَلَد: البال والقلب والنفس.

4 – المصدر نفسه ص: 109.

5 – تفسير آيات أشكلت، لابن تيميّة، ص 759.

ولعل إيراد هذا القدر من المسألة يكفي في تصور المذاهب الثلاثة في صفة الكلام لله ﷻ، وبعد ذلك نعرف أثر هذه الفرق بأعلامها في الحديث عن قضية إعجاز القرآن الكريم، إذ إنه ما دامت لم تتفق في تصور حقيقة القرآن الكريم الذي هو من كلام الله ﷻ، فإنها حتما لن تتفق في تناول قضية الإعجاز، بل قد وجدت فرقا حتى في مظان المسألة من كتب كل فرقة.

فالمعتزلة مثلا كان أكثر تناولها لقضية الإعجاز في كتب الاعتقاد كمثل ما فعل القاضي عبد الجبار المعتزلي، وأما الأشاعرة فتناولت القضية في كتب البلاغة والبيان كمثل صنيع عبد القاهر الجرجاني الأشعري رحمه الله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: القول بالصَّرفة عند محمود شاكر.

تمهيد: كان القول بالصَّرفة في درس الإعجاز على أنها وجه من وجوه إعجاز القرآن، حدثا مهما ووجها خطير في تاريخ "إعجاز القرآن الكريم"، إذ منه كانت بدايات الكلام عن هذا الدرس، وانطلق التأصيل لدرسه والبيان عن مباحثه، ولهذا يمكننا أن نقول بأن القول بالصَّرفة كما كان شرا في نفسه، فإنه قد انجر عنه خير كثير، من العناية ببيان أوجه إعجاز هذا القرآن الذي يعدّ آخر آيات الله ﷻ إلى رسله الكرام.

وهذه من حكم الله ﷻ في قضاءه للشر قضاء كونيا، فإنه ﷻ عليم حكيم، يقضي بالشر لينشأ عنه الخير، وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الشريف: «...والشرُّ ليس إليك»[1].

وسأتكلم عن هذه المسألة من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالصَّرفة.

المطلب الثاني: ظهور القول بالصَّرفة في إعجاز القرآن.

المطلب الثالث: الصَّرفة عند النَّظام والجاحظ.

المطلب الرابع: موقف محمود شاكر من القول بالصَّرفة.

---

1 - أخرجه الحاكم في على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ، سنة: 1411هـ - 1990م. برقم 3384، من رواية حذيفة بن اليمان ﷺ، في باب تفسير سورة بني إسرائيل ج2 ص 395، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: 3133 باب تحسين الصلاة والإكثار منها: ج3 ص 140، وعبد الرزاق في المصنف ،تأليف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ،سنة: 1403هـ، برقم: 20073، باب القدر، ج11 ص 114.

المطلب الأول: التعريف بالصَّرفة.

من المهمّ وقبل الحديث عن موقف شاكر من الصَّرفة أن نُعرِّفَ بها، فحقيقة الصَّرفة:«أنّ العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل البعثة، لكن الله صرفهم عن معارضته»[1].

أو بعبارة أخرى: « هي منع العرب من معارضة القرآن، ولولاها لاستطاع العرب معارضة القرآن، والإتيان بمثله»[2]*.

والصَّرفة بهذا المفهوم تَـذهب بصفة الإعجاز عن القرآن تماما، فهي وجـه مـردود لا يمكن أن يصار إلى القول بها، وذلك راجع إلى أمور:

« **الأول**: الإجماع قبل هؤلاء القائلين بها على أن القرآن معجز، وعلى هذا القـول يكـون المعجز هو الصرف لا القرآن، ألا تر أنه لو قال قائل: أنا أقوم وأنتم لا تقدرون عليه، وكان كذلك لم يكن قيامه معجزا بل عجزهم عن القيام، فهذه المقالة خارقة لإجمـاع المـسلمين السابقين على أن القرآن معجزة لرسول الله ﷺ دالة على صدقه.

الثاني: أنهم لو سُلِبوا القدرة كما قال به الشريف المرتضى[3]، لعلموا ذلك مـن أنفـسهم، ولتناطقوا به عادة، ولتواتر قطعا...

---

1 – شرح المواقف للإيجي، تأليف: الشريف علي بن محمد الجرجاني 816هـ، ومعه حاشية السيالكوتي والحلبي، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلميـة، بـيروت–لبنـان، الطبعـة الأولى 1419-1998.المجلـد الرابع: ج8/ص269.

2 – القول بالصَّرفة في إعجاز القرآن – عرض ونقد–، تأليف الدكتور: عبد الرحمن بن معاضة الشهري، دار ابن الجوزي العربية السعودية، ط1: سنة 1432هـ ، ص 17.

* وقد ذكر الشريف الجرجاني «أن القائلين بالصرف اختلفوا:

فقال الأستاذ أبو إسحاق من الأشاعرة، والنَّظام من المعتزلة، صرفهم الله عنها مع قدرتهم عليها خصوصا عند توفر الأسباب الداعية في حقهم، كالتقريع بالعجز، والاستدلال عن الرياسات والتكليف بالانقياد، فهذا صـرف خـارق للعادة، فيكون عجزا.

وقال المرتضى من الشيعة: بل صرفهم بأن سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة، يغني المعارضة والإتيان بمثـل القرآن يحتاج إلى علوم يُقتدر بها عليها» شرح المواقف: ج8/ص269.

3 – العلامة، الشريف، المرتضى، نقيب العلوية، أبو طالب علي بن حسين بن موسى القرشي، العلـوي، الحـسيني، الموسوي، البغدادي، من ولد موسى الكاظم. ولد: سنة 355هـ، هو جامع كتاب"نهج البلاغة"، المنسوبة ألفاظه إلى =

الثالث: أنه لا يُتصور الإعجاز بالصَّرفة، وذلك لأنهم كانوا حينئذ يعارضونه بما أعتيد منهم من مثل القرآن الصادر عنهم قبل التحدي به، بل قبل نزوله، فإنهم لم يُتحَدُّوا بإنشاء مثله بل بالإتيان به، فلهم بعد الصَّرفة الواقعة بعد التحدي أن يعارضوا القرآن بكلام مثله صادر عنهم قبل الصَّرفة»[1].

=

الإمام علي ﷺ...!وديوان المرتضى كبير وتواليفه كثيرة، وكان من الأذكياء الأولياء، المتبحرين في الكلام والاعتزال، والأدب والشعر. توفي المرتضى:في سنة :436هـ.سير أعلام النبلاء ج17/ص588، عجم الأدباء"إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تأليف ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت –لبنان–، الطبعة الأولى: سنة 1993م.13 / 146 - 157، الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت –لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ/2000م، ج 12 ص 40 - 42، البداية والنهاية 12 / 53، بغية الوعاة: 2 / 162.

[1] - شرح المواقف للإيجي، تأليف الشريف الجرجاني ج8/ص283

المطلب الثاني: ظهور القول بالصَّرفة في إعجاز القرآن.

إن معرفة وقت حدوث القول بالصَّرفة في إعجاز القرآن أمر بالغ الأهمية، وذلك في تاريخ إعجاز القرآن عموما وفي بيان أوجه الإعجاز على وجه الخصوص، ويعدُّ ذلك أمر مُعينًا على إدراك حقائق مهمَّة في الدرس.

وقد خَلُص محمود شاكر رحمه الله بعد البحث والسبر لتأريخ الإعجاز إلى أن الصَّرفة كانت من إنشاء كلٍّ من الجاحظ والنَّظام فقال: « وهكذا كان شأن أبي إسحاق - النَّظام- وأبي عثمان -الجاحظ- :جاءا برأي لا يكاد يخطر ببال عاقل = إلا ببال من اشتغل عقله اشتغالا ساطعا ثمّ انطفأ فجأةً، ولكن بَقِيَ منه في الأعين الوَهَجُ لا غير أما العقل المطروح على الثرى رمادًا هامدًا، فقد عميتْ عنه العيون.

لا أدري كيف ضلّ الرجلان في الحوار والمناظرة حتى اهتديا بعد الإرهاق والتعب والهُمود والخُمود إلى قولٍ مذهلٍ للعقول سمَّياهُ :"الصَّرفة"»[1].

فهذا نصٌ من شاكر يدل على أنه قد جزم بأن كُلًّا من النَّظام والجاحظ قد اشتركا جميعا في ابتداع هذا المذهب لبيان وجه الإعجاز في القرآن الكريم، هذا من حيث بداية الفكرة أما، نهايتها فإن الصاحبان سيفترقان ويفزع كل واحد منهما إلى طبعه، يفزع النَّظام إلى عقله وهوسه، والجاحظ إلى فطرته وذوقه.

وقد ذهب بعض الباحثين* إلى أنّ نسبة الصَّرفة إلى النَّظام لم تُحفظ في كتابٍ حتى يتمكن من التحقق من ذلك، أما الجاحظ فيعده أول من أشار إلى معنى الصَّرفة دون التصريح باسمها، ويقول مبررا ما ذهب إليه: «والمحتاط لدينه لا يعزو إلى شخص من الأشخاص أو فرقة من الفرق ما لم يقرأه في كتبهم الثابتة عنهم أو في كتب الثقات من أهل العلم المتثبتين

---

1 – المداخل، ص 57.

* وهو الدكتور: عبد الرحمن بن معاضة الشهري في كتابه: "القول بالصفة في إعجاز القرآن"- عرض ونقد-، كما في: ص 29 من الكتاب.

في عزو الأقاويل...»[1].وهو كلام علميٌّ متينٌ إلَّا أنِّي أرى أن إطْباق المؤرخين على نسبة الصَّرفة للنّظام، يدل على أن بدايتها لها العلاقة الوطيدة به.

ولأن الجاحظ نفسه كانت له مع النَّظام مساجلات وردّ عليه القول بالصَّرفة كما أشار إلى ذلك في كتابه حجج النبوة[2]، وبالتالي فإن القول بالصَّرفة في بداية تاريخه كان للنظام والجاحظ، مجال للقول فيه والحديث عنه، فإن لم يكونا السابِقَيْنِ إلى الصَّرفة، فهم من الأوائل في ذلك على الأقل، وعليه فلا غظاظة على محمود شاكر في انفراده في نسبة القول بالصَّرفة للنظام والجاحظ معا.

ومن الجدير بالذكر هنا أن نذكر أسباب نشأة القول بالصَّرفة، وقد عقد لها الدكتور الشهري مطلبا خاصا*.

وقد رأيت تلك الأسباب مفرقة في كلام شاكر رحمه الله إلا أنه لم يَعْمَد إلى جمعها في مكان واحد مع أهمية ذلك، وخلاصة ما أورده الشهري عن أسباب نشأة القول بالصَّرفة ما يلي:

أولا: الأسباب العقدية، وقد أشار إلى ذلك شاكر في كتابه، حيث يقول رحمه الله: « دخل المتكلمون ساحة النظر والاستدلال، ومعمعة الجدل والخصومة من بابين كبيرين: "باب الإلهيات" و"باب النبوات"...ففي معترك نظرهم وجدالهم وتخاصمهم، تولّدت على ألسنتهم ألفاظٌ كثيرةٌ جدّاً فشت فيهم، وجذبتهم جذباً إلى الاختلاف في حدودها ورسومها»[3].

ثانيا: ثقافة إبراهيم النَّظام، يقول شاكر في هذا السبب: « ثمّ دخل على أبي هذيل ابن أخته ، وتلميذه، وصاحبه أبو إسحاق النَّظام، أخذ عنه كثيرا حتى إذا ما استوى واشتدّ ساعده وجمع علم أبي الهذيل[4] في صدره، انفتل عنه وانفرد بعلمه انفرادًا كاد يُخْمل خاله أبي هذيل العلاّف»[1].

---

1 – القول بالصَّرفة في إعجاز القرآن، ص 32-33.

2 – رسائل الجاحظ/ رسالة حجج النبوة، ص 9.

* القول بالصَّرفة في إعجاز القرآن، للشهري، ص 40-54.

3 - المداخل، ص 35-36.

4 - أبو الهُذَيْل العلّاف البَصْريُّ. المُتكلّم المُعْتَزليّ، واسمه محمد بن الهُذَيْل، وُلد سنة 135هـ، كان من أجلاد القوم =

ثالثا: الأفكار والمذاهب المخالفة، أيضا هذا سبب لم يفت شاكر ذكره إذْ يقول: « ففي منتصف القرن الثاني للهجرة، انبثق أوّلُ بَثْقٍ فاض منه ما نعرفه اليوم باسم "علم الكلام"، وهو باب من أبواب الرأي والنظر والفحص والاستدلال، أراد أصحابه بكلامهم فيه ونظرهم إثبات الحجج في أصول الدين، وردِّ الشبه التي يوردها عليه الطاعنون والمخاصمون، ثمّ اتسع البثْقُ وسال السيل على الأيام، وتميّز المتكلمون بآرائهم وأقوالهم، يوم ظهرت رؤوس المعتزلة كأبي الهذيل العلاّف، وأبي إسحاق النَّظام، وأبي عثمان الجاحظ، ونبتت معهم نوابتُ زمانهم من الزنادقة المجادلين المشاغبين الطاعنين في النبوّة وفي القرآن»[2].

=

ورؤوسهم. زعم بجهله أنّ أهل الجنّة تنقطع حركاتهم حَتّى لا يتكلّمون كلمة، وينقطع نَعيم الجنّة. وأنكر الصِّفات المقدسة وقال: علم الله هو الله، وقدرة الله هي الله. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل صاحب واصل بن عطاء. وقد طال عُمُره، وصنَّف الكتب، ونَيَّف على التّسعين، وأخذ عنه عليّ بن ياسين، وغيره.

وتوفى أبو الهذيل في أول خلافة المتوكل في سنة خمس وثلاثين ومائتين. تاريخ الإسلام، ج4/582-587.

1 – المداخل، ص 49-50.

2 – المصدر نفسه، ص 38-40-41.

المطلب الثالث: الصَّرفة عند النَّظام والجاحظ.

من الأمور المهمة في بيان مسألة الصَّرفة هو تحديد تعريفها وضبطه، لأننا نجد أن العلماء لهم تصورات مختلفة حول الصَّرفة الأمر الذي زاد القضية تعقيدا، حتى إنّنا نجد مثلا حمزة العلوي في كتابه الطراز يقول: « واعلم أن قول أهل الصَّرفة يمكن أن يكون له تفسيرات ثلاثة لما فيه من الإجمال، وكثرة الاحتمال كما سنوضحه:

التفسير الأول: أن يريدوا بالصَّرفة أن الله ﷻ سلب دواعيهم إلى المعارضة مع أن أسباب توفر الدواعي في حقهم حاصلة من التقريع بالعجز، والاستنزال عن المراتب العالية، والتكليف بالانقياد والخضوع، ومخالفة الأهواء.

التفسير الثاني: أن يريدوا بالصَّرفة أنَّ الله ﷻ سلبهم العلوم التي لا بد منها في الإتيان بما يُشاكل القرآن ويقاربه...

التفسير الثالث: أن يراد بالصَّرفة أن الله ﷻ منعهم بالإلجاء على جهة القسر عن المعارضة مع كونهم قادرين وسلب قواهم عن ذلك، فلأجل هذا لم تحصل المعارضة.

وحاصل الأمر في هذه المقالة أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن إلا أن الله ﷻ منعهم بما ذكرناه»[1].

وقد زاد الدكتور الشهري بعدما ذكر كلام العلوي معنيين آخرين للصرفة:

أحدهما عدَّه مذهب الجاحظ، فقال: « فالصَّرفة عنده هي صرف همم العرب عن المعارضة حفظا لكتابه من التشويش وإدخال الشبهة على السفهاء، ولولا الصَّرفة لطمع فيه من لا يستطيع الإتيان بمثله، وهذا هو التفسير الرابع...

ومعنى آخر للصرفة ذهب إليه بعضهم وهو ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار الهمذاني، وهو أن الصَّرفة انصراف العرب عن معارضة القرآن بعد تيقنهم العجز عن ذلك»[2].

---

1 – الطراز، تأليف: يحي بن حمزة بن علي العلوي اليمني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا-بيروت، ط1: سنة 1423هـ/2002م، 218/3.

2 – القول بالصَّرفة في إعجاز القرآن: عرض ونقد، ص 16-17.

ولأجل هذا الافتراق العظيم في ضبط معنى الصَّرفة، فإنه يصعب الحكم على مذاهب العلماء القائلين بالصَّرفة، لغموض مراد كل واحد من هؤلاء إذا لم يصرح بمراده أو أنه لم يميز تصوره لها، لذلك وجدنا ـ كما سيأتي في المقارنة مع الجاحظ ـ افتراق العلماء في إدانة الجاحظ بالصَّرفة ونفيها عنه.

أما شاكر رحمه الله فقد اهتم بالصَّرفة، وبخاصة عند منشِأَيْها؛ النَّظام والجاحظ السابقان إلى بحثها، فيقول شاكر: « أما بيان مقالة أبي عثمان وأبي إسحاق في الصَّرفة، فهو كما ترى :

الشأن في آيات الأنبياء عليهم السلام جميعا هو أن العجز عنها قائم في أنفس الخلائق، وذلك أن الله سبحانه وتعالى حين فطر الخلائق سلبهم القدرة على أشياء استأثر بها سبحانه دونهم، لأنها داخلة دخولا مبينا في صفاته سبحانه، فإذا جاءت الخلائق آية هي حدوث شيء قد سلبوا القدرة عليه فطرة، وجدوا العجز عنه في أنفسهم وجدانا ظاهرا مغروزا في طباع الإنس والجن والملائكة المقربين.

والقرآن بلا ريب، هو لنبينا صلى الله عليه وسلم "آية"، دالة على صدق نبوته كآيات سائر الأنبياء عليهم السلام، فإذا كان ذلك كذلك، فشرط الآية، وهو "عجز الخليقة"، يستوجب في سائر آيات الأنبياء، أن تتلقى الخلائق القرآن بعجز تجده قائما في أنفسها مغروزا فيها، لأنهم قد سلبوا القدرة على مثله فطرةً فطروا عليها .هذا شرط لازم لآية كل نبي»[1].

«وقد بين شاكر حقيقة مهمة في تحليل الصَّرفة عند النَّظام والجاحظ، وهي في بداية نشأتها، وأن العجز الذي هو حقيقة الصَّرفة عندهما حقيقته أنه عجزان:

الأول مغروز في الأنفس عند الفطرة الأولى.

والثاني حدث فجأة عند نزول القرآن، وهو عجز يَسْلُب المتحدين بالقرآن القدرة على نظم الكلام وتأليفه في حالة واحدة ليس غير هي الحالة التي تسوِّل لها أنفسها معارضة القرآن الكريم بنظم وتأليف يشابهه أو يدانيه، فهذا هو العجز الثاني؛ وهذا الأخير هو الذي استحدث له النَّظام اسما وهو "الصَّرفة".

1 – المداخل ص 57-58.

فالله ﷻ كتب فجأة على العرب وعلى سائر الخلائق أن تكون أوهامهم مصروفة صرفا سرمدا عن القدرة على نظم كلام وتأليفه، إذا راموا معارضة القرآن أو الإتيان بسورة من مثله، مع بقاء قدراتهم سالمة على نظم الكلام وتأليفه في سائر أحوالهم»[1].

«وعند العجز الثاني افترق الصاحبان، فأما النَّظام فقد أعجبته نفسه حين بلغ هذا المبلغ من تصحيح الشرط في الآية، وهو عجز الخليقة بما سمَّاهُ الصَّرفة، فاستخفه تهوره.

وأما الجاحظ فعندئذ فزِع فزعًا شديدًا، وعَلِم أن الرَّجُل قد خُولِط وأخذه ما أخذه، فهو يتخبط تخبطًا لا يُصبر على مثله...وعَلِم يقينًا في قرارةِ نفسه أن الاقتصار على تفسير العجز بهذه الصَّرفة وحدها مُفضٍ إلى مثل هذا الهَوَسِ وإلى ما هو أبلغُ وأفحش»[2].

1 – ينظر المداخل، ص 61/59.

2 – المصدر السابق، ص62-63.

المطلب الرابع: موقف محمود شاكر من القول بالصَّرفة.

منذ أن ظهرت الصَّرفة وارتبط ظهورها بالنَّظام، وأهل العلم تُجاهها بين مؤيد لها مشيدا بأحقية كونها وجها من وجوه إعجاز وأن ذلك لا غظاظة فيه ألبته بل عد بعضهم ذلك أمرًا لازمًا كما هو حال كثير من المعتزلة، وبين مُسْتهجنٍ للقول بها، وأن ذلك مما يُـذهب عن القرآن الكريم كل فضيلةٍ تعلقت به، كما هو حال جمهور العلماء حتى عُدَّ منهم جملةٌ من المعتزلة.

ومحمود شاكر رحمه الله كان من العلماء المعدودين في تحقيق هذه المسألة، فقد أجاد في التعريف بالصَّرفة، وبيّن أن القول بها عند أهلها ليس على درجة واحدة، بل هي على درجات فكل واحد له حدٌّ يحدُّ به الصَّرفة، كما بيّن بيان سبب نشأتها وحقيقتها بيانا جليا واضحا، كذلك كان موقفه منها بيِّناً؛ تمثل في رد الصَّرفة، واستهجانها، وعدم اعتبارها وجها من وجوه الإعجاز المعتبرة، كيف وهي تمحق كل فضيلة للقرآن، وأنه لا بد من طرحها حيث يجب أن تطرح بعيدا عما له علاقة بالقرآن.

يقول محمود شاكر مفصحا عن رأيه في القول بالصَّرفة: «وهذه الصَّرفة كما ترى تسلب نظم القرآن، وتأليفه كل فضيلة، لأنهم معجزون بالصَّرفة لا غير !.

بل أكبر من ذلك أن هذه الصَّرفة تجعل مطالبة الخليقة في الإتيان بمثل القرآن مطالبة ظاهرها أنهم مُخَيرون في فعل ما طولِبُوا به اختيارًا مطلقًا، وباطنها أنهم مجبرون على ترك فعل ما طولبوا به إجبارًا مفاجئًا لا مَخْلَصَ منه، ولا إرادة لهم فيه، ولا يملكون له دفعا، فهم قادرون عاجزون في نفس الوقت، وهذا عبث مَحضٌ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

هذا العبث خليق أن يكون سجية من سجايا ذكاء أبي إسحاق النَّظام وحده وجِبلَّةً من جِبلات عقله...».[1]

وليس قول شاكر هذا الذي انتهى إليه بعد البحث والتحقيق؛ بدْعا من القول، بل سبق إلى ذلك علماء كثيرون، حتى من المعتزلة أنفسهم، فضلا عن غيرهم من الفرق.

---

1 - المداخل ص 61.

يقول المفسر ابن كثير رحمه الله: « وأما من زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صرف دواعي الكفرة عن معارضته مع إمكان ذلك، أو سلب قدرتهم على ذلك، فقول باطل...»[1].

ويقول الشهري بعد تحقيقه البديع حول قضية الصَّرفة والقول بها في إعجاز القرآن: « معظم من تناول الصَّرفة من العلماء ردها وضعفها و لم يعتبرها وجها من أوجه إعجاز القرآن»[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - البداية والنهاية، لابن كثير، ج8 ص 547.

2 – القول بالصَّرفة في إعجاز القرآن، للشهري، ص 82.

المبحث الثالث: التذوق عند محمود شاكر.

تمهيد: إنّ الحديث عن موضوع التذوق، معناه الحديث عن منهج شاكر عليه رحمة الله، إذْ كان شغله الشاغل، حتى بلغ به الأمر أن جعل كل شيء مرده إلى التذوق، والتذوق وحده، يقول تلميذه محمود الطناحي عليه رحمة الله عن ذلك: «وقد طبَّق أبو فهر منهج التذوق هذا في دراسته للمتنبي، بل طبقه في كلّ كلام درسه: كتابا أو مقالة أو حاشية في كتاب، لأن التذوق عنده ليس قواما للآداب والفنون وحدها، بل هو لكلّ علم وصناعة...»[1].

والذي يهمُّنا في بحثنا هذا أن نبيِّن مكانة التذوق من درس الإعجاز عند محمود شاكر، وسأحول بيان ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مكانة التذوق عند محمود شاكر.

المطلب الثاني: بيان ماهية التذوق.

المطلب الثالث: التذوق عند شاكر آلة لإدراك إعجاز القرآن.

1 – في اللغة والأدب بحوث ودراسات ، للطناحي، ج1 ص 112.

المطلب الأول: مكانة التذوق عند محمود شاكر.

لقد جعل محمود شاكر عليه رحمة الله مكمن تميّز الأمم وعظمة حضارتها؛ إنما مرجعه إلى التذوق، ليس في الآداب، والفنون وحدها، بل في كل علم وصناعة فـ :« كل حضارة بالغة تفقد دقّة التذوق، تفقد معه سبب بقائها.

والتذوق ليس قواما للآداب والفنون وحدها بل هو قوام لكل علم وصناعة على اختلاف باباتِ ذلك كله، وتباين أنواعه وضروبه، وكلُّ حضارةٍ ناميةٍ تريد أن تَفرض وجودها، وتبلغ تمام تكوينها، إذا لم تستقل بتذوقٍ حساسٍ نافذٍ تختصُّ بها وتنفرد، لم يكن لإرادتها في فرض وجودها معنى يعقل، ...

فحسن التذوق يعني سلامة العقل والنفس والقلب من الآفات، فهو لب الحضارة وقوامها، لأنه أيضا قوام الإنسان العاقل المدرك الذي تقوم به الحضارة»[1].

وحتى قال في موضع آخر مؤكدا هذا المعنى: « وإذن فالأمر كله مردود إلى التذوق لا غير »[2].

هذه هي وجهة نظر شاكر عليه رحمة الله على العموم، فالتذوق يدخل عنده في كل شيء، أما من جهة ما يخصُّ بيان القرآن على وجه الخصوص وبلاغته، فإن التذوق يقول شاكر «كان حاضرا في الأنفس حضورا واحدا في تذوق نظم القرآن وتأليفه، وفي تذوق نظم الشعر»[3]. حتى أقر عتاة المشركين وشهدوا للقرآن بالسبق الكبير في البيان العربي، حتى قال قائلهم معترفا بذلك وهو الوليد بن المغيرة: «والله ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر»[4].

---

1 – قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، لمحمود شاكر، ص58.

2 – المداخل ص 98-99.

3 – المصدر نفسه، ص 98.

4– السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي، الناشر: دار المعرفة بيروت –لبنان–، سنة النشر 1400هـ، ج3 ص 344.

ثم نجد شاكر يسجل ملاحظة هامة عن هذا التذوق العام الذي كان مغروزا في أهل الجاهلية حين أُنزل عليهم القرآن فيقول: «هذا التذوق العام الذي كان فيهم حين نزِّل القرآن، يهدينا كونه إلى أصلين عظيمين لا انفكاك له منهما:

أولهما: أنه غير ممكن أن يكون نشأ فيهم ابتداء عند تنزيل القرآن، بل هو نتيجة دهور متطاولة من تذوق البيان في أوسع نطاق من التوسع وأشمله، وعلى أعلى درجة من دقة الإحساس بالأبنية اللغوية المختلفة التي أتيحت للبيان الصادر عن الإنسان في جميع لغات البشر.

ثانيهما: أنه لا يمكن أن يكون كان الأمر على هذا الوجه عند تنزيل القرآن، إلا وفي أيدي الناس وفي نفوسهم أمثلة حيَّةٌ كثيرة متنوعة عتيقة جدا متداولة بينهم، وأمثلة أخرى محدثة عتيدة ذائعة بين الناس، على اختلاف درجاتهم، لا يكفون عن تتبعها وتذوقها، وعن المقارنة بين قديمها ومحدثها، باهتمام وحرص وشغف غالب، يصقل التذوق صقلا حتى يبلغ الغاية»[1].

ولعلي قبل أن أطوي هذا المبحث أذكر مثلا لشاكر عليه السلام عن تذوقه لعلم التفسير من خلال كتاب الإمام أبي جعفر الطبري، لنعلم كيف كانت منزلة التذوق عند شاكر عليه السلام، إذ يقول: «ومنذ هداني الله إلى الاشتغال بطلب العلم، وأنا أصاحب أبا جعفر في كتابيْه: كتاب التفسير، وكتاب التاريخ.

فقرأتُ تفسيره صغيرًا وكبيرًا، وما قرأتُه مرَّةً إلا وأنا أسمعُ صوته يتخطّى إليّ القرون: إني لأعجب ممن قرأ القرآن، و لم يعلم تأويله، كيف يلتذُّ بقراءته...»[2].

فأنت ترى كيف جعل التذوقُ لكلمات الطبري الأستاذَ شاكر يسمع الإمام الطبري عليه السلام متخطيا القرون الطويلة التي تفصل بينهما.

---

1 – قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ص95.

2 – مقدمة تفسير الطبري، ج1ص10.

المطلب الثاني: بيان ماهية التذوق.

إن كلامنا عن مكانة التذوق عند محمود شاكر رحمه الله، يجرنا لزاما إلى بيان ماهيته، وسنستعين بشاكر نفسه في بيان ماهية التذوق، ولا ينبئك مثل خبير.

ينبه شاكر أولا أن:

« هذا التذوق ليس أمرا هيِّنا ميسورا ممهّد السبل، ولا موقوتا بساعته حتى إذا فُرِغ منه ذهبت حاجة النفس إليه ، بل هو عمل خفيٌّ متشعب معقَّد يخالط العقل والنفس ويثيرها ويهزُّها ويقلِّبها بتقلب الخواطر تقليبا لا تكاد تبلغه الصفة، ثم هو عمل غائرٌ في النفس المتذوقة، قائمٌ فيها أبدًا بسلطانٍ قاهرٍ، يزيدها على الأيام وعلى الممارسة حرصًا عليه وشغفا به، ثم لا ينفكُّ عنها، ولا تنفكُّ عنه ...

فإذا نَشَبَ "التذوق" في سرِّ نفسه لم يُفلِته، وإن حاول التَّفلُت من إسَارِه »[1].

ثم يتكلم شاكر عن بداية نشأة هذا التذوق في النفس المتذوقة، وأنه: « يبدأ من عند ظاهر الألفاظ والتراكيب والصور، لينفذ منها إلى أعمق أعماق المعاني التي تنطوي عليها، وإلى أدق دلالاتها على تنوعها وانتشارها، وإلى أغمض ما يكمن في ثناياها من الفكر والرأي والنظر والحجة، وإلى أخفى الأمواج المتدسِّسة التي تصادم النفس المتذوقة برفق ثم بعنف بئيس مدمدم، يفجر فيها مغاليق الكنز الدفين الذي استودعه الله في الإنسان منذ خلقه على جبلته وبمشيئته سبحانه، وهذا الكنز هو البيان يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ الرحمن: 1- 4»[2].

إن الذي أعان محمود شاكر في الكشف عن معنى التذوق هو ما اهتدى إليه من خلال كلام الخطابي رحمه الله، إذ نقل كلامه مقررا له في بيان ماهية هذا التذوق فقال :«وقد كشف الخطابيُّ هذا المعنى كشفا كاملا في تمام كلامه حيث قال :« قالوا : وقد يخفى سببه عند البحث، ويظهر أثره في النفس، حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به، قالوا :وقد توجد

1 – الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم، ص 113-114.

2 - المصدر نفسه، ص114.

لبعض الكلام عذوبةً في السمع، وهشاشةً في النَّفس، لا يوجد مثلها لغيره منه، والكلامان معا فصيحان، ثمّ لا يوقف لشيء من ذلك على علة»[1]

كما ذكر شيئا من بيان معنى التذوق أو قريبا منه عن الباقلاني رحمه الله[2] وهو قوله: « وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ما يذهل ويُبْهج ويقلق ويؤنس ويطمع ويُؤيِس ويُضحك ويبكي ويحزن ويفرح ويسكن ويزعج ويُشْجي ويُطْرِب، ويهزُّ الأعطاف ويستميل نحوه الأسماع ويورث الأرِيحيَّة والعزَّة وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعةً وجودًا، ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيدا وله مسالك في النفوس لطيفةً ومداخلَ إلى القلوب دقيقة وبحسب ما يترتب في نظمه ويتنزل في موقعه ويجري على سمت مطلعه ومقطعه يكون عجيب تأثيراته وبديع مقتضياته وكذلك على حسب مصادره يتصور وجوه موارده وقد يُنبئ الكلام عن محل صاحبه ويدل على مكان متكلمه، وينبِّه على عظيم شأن أهله وعلى علوِّ محله»[3].

1 – المداخل ص 99. وكلام الخطابي نقله شاكر من كتاب"ثلاث رسائل في الإعجاز"، ص24.

2 – الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب البصري، ثم البغدادي الإمام، العلامة، أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين، صاحب التصانيف، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه، وكان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه.

مات في ذي القعدة، سنة ثلاث وأربع مائة.سير أعلام النبلاء للذهبي 193/17.وينظر ترجمته في: ترتيب المدارك 44/7-70، العبر 3 / 86، الوافي بالوفيات ج3 /ص177، الديباج المذهب 363، شجرة النور الزكية: ج1 /ص 92، 93.

3 – إعجاز القرآن للباقلاني، ط أحمد صقر ص 277.

المطلب الثالث: التذوق عند شاكر آلة لإدراك إعجاز القرآن.

جعل الأستاذ شاكر رحمه الله مدرك الإعجاز قائما على تذوق الكلام العربي الذي نزل به القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ النحل: 103، ومنـــــزع ذلك أن آية الرسول ﷺ التي هي القرآن الكريم، هي آية لا كالآيات السالفات التي أوتيها إخوانه الأنبياء عليهم السلام من قبله، بل هي آية فريدة متميزة قال فيها صاحبها ﷺ :« مَـــا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّـــهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[1].

يقول محمود شاكر رحمه الله معلقا على الحديث، ومنبها إلى مكانة التذوق وأهميته في إدراك مترلة آية النبي ﷺ : «...أي أن الآيات التي يُفوَّض أمرها إلى التذوق القائم في طبيعة البشر أبقى من الآية التي تنقضي بانقضاء حدوثها، ولا يبقى للبشر بعدها إلا التسليم بحـــدوثها لا غير، كعصا موسى، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص »[2].

ثم إن شاكر قد وقف على حادثة تاريخية حدثت على عهد النبي ﷺ، خلُص من خلالها إلى أن إعجاز القرآن إنما يوقف على إعجازه بالاستعانة على تذوق الكلام العربي والذي يعدُّ أنموذجه الأعلى كلام الله سبحانه وتعالى، وهذه الحادثة رواها مسلم وغيره وهذا سياق مسلم قال:

و حدثنا إسحق بن إبراهيم ومحمد بن المثنى كلاهما عن عبد الأعلى قال ابن المثنى حدثني عبد الأعلى وهو أبو همام حدثنا داود عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جـــبير عـــن ابـــن عـــباس رضي الله عنه : أن ضمادا قدم مكة وكان من أزد شنوءة وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمدا مجنون فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعـــلَّ الله يشفيه على يدي قال فلقِيَه فقال يا محمد إني أرقي من هذه الريح وإن الله يشفي على يدي من شاء

---

1 – أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقم: 4598، ومسلم من حديث أبي هريرة، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد، برقم 217.

2 – الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص 60.

فهل لك فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل لـــه ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه وأن محمـــدا عبـــده ورسوله أما بعد، قال: "فقال أعِدْ علـــيَّ كلماتك هؤلاء فأعادهنَّ عليه رســـول الله ﷺ ثلاث مرات قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء **فما سمعـــت مثل كلماتك هؤلاء** ولقد بلغن ناعوس البحر* قال فقال هات يدك أبايعك على الإسلام" قال فبايعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي قال فبعـــث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فمروا بقومه فقال صاحب السرية للجيش هل أصبتم من هؤلاء شيئا فقال رجل من القوم أصبت منهم مطهرة فقال ردوها فـــإن هـــؤلاء قـــوم ضماد»[1].

يقول شاكر محللاً موقف ضماد رضي الله عنه من كلمات النبي ﷺ : « كلمات قلائل تـــذوقها ضماد رضي الله عنه، و لم يصبر حتى يتلى عليه بعض ما نزل من القرآن يومئذ بمكة، وقطع الحديث ليستعيد ما سمع، ونحن اليوم نسمعها من كل منبر في كل يوم جمعة ونحن في غفلـــة عن تذوقها تذوق ضماد»[2].

لاشكّ أن الأمر الملفت في هذه القصّة؛ هو وقع تلك الكلمات في نفس ضماد التي حُليّت بتذوق صنوف الكلام، حتى إذا سمع ما سمع دُهش وراعه الأمر.

---

* قال ابن الأثير: وفي سائر الروايات " قاموس البحر" وهو وسَطُه ولُجَّته ولعله لم يُجَوِّد كِتْبَتَهُ فصَحَّفَه بعضُهم. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية –بيروت– لبنان ، 1399هـ – 1979م، ج 5ص 180.

1 – أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم: 1436، والبيهقي في الكبرى برقم: 5592، باب كيف يستحب أن تكون الخطبة؟، ج3 ص 214.

2 – الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ص 62.

المبحث الرابع: وجه الإعجاز عند محمود شاكر وموقفه من الوجوه الأخرى.

تمهيد: لاشك ألبته أن وعورة درس إعجاز القرآن الكريم وصعوبته، إنما اُستُمِدت من نواحي كثيرة أصعبها على الإطلاق بيان وجوه إعجاز من القرآن العظيم، ومن أيِّها حصل ذلك الإعجاز؟.

وقد أسهمَ محمود شاكر رحمه الله في هذا الموضوع الشائك البالغ الخطورة إسهاماً كبيراً، فانتهى إلى نتائج ذات قيمة مهمة في هذا الموضوع، سأقوم بعرضها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: وجوه الإعجاز بين العرب، وبين من جاء بعدهم.

المطلب الثاني: موقف محمود شاكر من وجوه الإعجاز.

المطلب الثالث: الوجه الذي ارتضاه محمود شاكر للإعجاز.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: وجوه الإعجاز بين العرب، وبين من جاء بعدهم.

لقد ركّـــز محمود شاكر رحمه الله ابتداء على أمر مهم جدا، وهو لزوم التفريق بين وجـــه الإعجاز عند العرب الذين نزل القرآن متحديا لهم، وبين من جاء بعدهم بعد قرون متطاولة من تنزيله، فيقول رحمه الله: «وإذا صحَّ أن قليل القرآن وكثيره سواء من هذا الوجه، ثبت أن ما في القرآن جملة من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة، ومن أنباء الغيب، ومـــن دقـــائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القـــرون المتطاولة من تنزيله، كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب، وهو أن في نظمه وبيانـــه انفكاكٌ من نظم البشر وبيانهم من وجه يحسم القضاء بأنه كلام رب العالمين».[1]

وهذا لا يعني أن إعجاز القرآن بنظمه وبيانه قد انقضى بانقراض العرب الذين نزل القرآن متحديا لهم، بل لا يزال بيان القرآن ونظمه البديع قائما على أنه أبرز الوجوه التي اعتنى بهـــا العلماء قديما وحديثا وفي كل زمان، وفي المقابل كذلك لا ينبغي إقصاء جملة الوجوه الأخرى التي عرض لها العلماء، كمثل إخباره بالغيوب السابقة واللاحقـــة، والإحكـــام العظـــيم في تشريعاته، والحقائق العلمية التي جاءت موافقة لنصوصه، وغير ذلك كله معتبرٌ في بيان أوجه إعجاز القرآن.

وقد وقفت على كلام جيد لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يذكر فيه ذلك المعنى بعينه، وذلك في قوله: « وكلُّ ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له»[2].

والذي يُفهم من كلام شاكر رحمه الله أن هذا الذي ذكرنا هو المذهب الذي يجبُ أن يُصار إليه، إلا أنه ينبغي التفريق بين العرب الذين نزل القرآن متحديا لهم، وبين غيرهم من الأمم، وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة عند المقارنة بين محمود شاكر ومالك بن نبي في آخر البحث.

---

1 – المداخل، ص 158- 159.

2 – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس تحقيق: علي حسن ناصر وعبد العزيز إبراهيم العسكر وحمدان محمد، دار العاصمة – الرياض، ط1: 1414هـ. ج5/ص429، وإعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور العواجي، ص175.

المطلب الثاني: موقف محمود شاكر من وجوه الإعجاز.

نقول أن محمود شاكر رحمه الله لما جعل البيان والنظم الوجه المستحق للقرآن الكريم لا يعني ذلك ألبته أنه ألغى الوجوه الأخرى؛ كلا لكن الأستاذ جعل سائر الوجوه التي ارتضاها* وقال بها العلماء من قبله، ولكنّما جعل تلك الوجوه منبثقة من الإقرار ببيان القرآن ونظمه المباين لكلام سائر البشر عربا كانوا أو عجما، إنسا أو جنا

ومحمود شاكر إذ يقرر هذا الأمر يقول: «...فإنهم إذا أقروا - أي العرب- أنه كلام رب العالمين، بهذا الدليل كانوا مطالبين بأن يؤمنوا بأن ما جاء فيه من أخبار الأمم، وأنباء الغيب، ودقائق التشريع، وعجائب الدلالات على أسرار الكون هو كله حق لا ريب فيه، وإن ناقض ما يعرفون، وإن باين ما اتفقوا على أنه عندهم أو عند غيرهم حق لا يشكون فيه .

وإذن، فإقرارهم من وجه النظم والبيان أن هذا كلام رب العالمين دليل يطالبهم بالإقرار بصحة ما جاء فيه من كل ذلك»[1].

فشاكر يريد أن يقول أن الإقرار بوجه من وجوه الإعجاز يُلزم المُقرَّ أن يسلم لسائر الوجوه الأخرى التي يصلح أن تكون وجها من وجوه القرآن، مع اعتبار التفاوت في تلك الأوجه التي أوردها العلماء، وينبغي أن يكون أهمها على الإطلاق، إعجازه من جهة نظمه وبيانه.

وكأن محمود شاكر جعل الإقرار بوجه الإعجاز من جهة النظم والبيان، يَتَأَتَّى منه على جهة اللزوم كافة الوجوه التي تصلح أن تُدرج ضمن وجوه إعجاز القرآن التي توصل إليها أهل العلم بذلك.

إلا أن شاكر يجعل سائر الوجوه التي ذكرها العلماء غير الإعجاز ببيانه ونظمه، مع أنها معتبرة إلا أنها كلها بمعزل عن التحدي المفضي إلى الإعجاز، فيقول: « أن ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الله سبحانه وتعالى في خلقه كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك يعدُّ دليلا على أنه من عند الله

---

* لأن هناك وجوها لم يرتضيها كالصَّرفة مثلا

1 – المداخل، ص 159.

ﷻ، ولكنه لا يدل على أن نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم، وأنه بهذه المباينة كلام رب العالمين، لا كلام بشر مثلهم»[1].

فالحاصل أن محمود شاكر كانت عنايته في باب بيان وجوه القرآن منصبَّةً على إظهار إعجاز القرآن من خلال بيانه ونظمه، وما يأتي بعد ذلك من الوجوه، فهو تبع لذلك، فهو يعتدُّ بالوجوه التي تصلح للإعجاز، على حدِّ قول ابن تيمية السابق: « وكلُّ ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له»[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – المداخل، ص 163.

2 – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ج5/ص429.

المطلب الثالث: الوجه الذي ارتضاه محمود شاكر للإعجاز.

من خلال المطلبين السابقين، يتبين لنا جليا أن محمود شاكر رحمه الله في دراسته لمسألة بيان الأوجه التي كان القرآن بها معجزا، أن أكبر عنايته كانت دائرة حول كون القرآن أولا وآخِرا كان الإعجاز يتجلى من خلال بيانه ونظمه، وهو ما أفضى إليه تحدي القرآن للذين نزل عليهم أولا بمكة من أهل الجاهلية من العرب الفصحاء، وأن ذلك هو المناسب لآية النبي العربي ﷺ ولبيئته العربية، كما كانت عصى موسى عليه السلام مناسبة لسحر الملأ من السحرة من قوم فرعون، وكان إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى مناسبا لبيئة نبي الله عيسى عليه السلام.

يقول محمود شاكر عليه السلام مفصحا عن الوجه الذي ارتضاه أن يكون للقرآن الكريم، رافعا من شأنه إزاء الأوجه الأخرى، وإن كانت معتبرة: «...وأن النبي ﷺ كان يعرف "إعجاز القرآن" من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب، وأنَّ التحدي الذي تضمنته آيات التحدي من نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ هود: 13 وقوله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ الإسراء: 88. إنما هو تحدٍ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا لشيء خارج عن ذلك.

فما هو بتحدٍ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلمٍ ما لا يدركه علم المخاطبين من العرب و لا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنَّظم والبيان»[1].

ويقول شاكر في موضع آخر مؤكدا رأيه في بيان وجه الإعجاز في القرآن الكريم: «فإن صحَّ هذا، وهو صحيح لا ريب فيه، ثبت ما قلناه أولا من أن الآيات القليلة من القرآن ثم

[1] – مداخل إعجاز القرآن ص 153-154.

الآيات الكثيرة، ثم القرآن كله أيُّ ذلك كان في تلاوته على سامعه من العرب، الدليل الذي يطالبه بأنْ يقطع بأنَّ هذا الكلام مفارق لجنس كلام البشر، وذلك من وجه واحد هو وجه البيان والنظم»[1].

ومحمود شاكر رحمه الله إذ يعتدّ بإعجاز القرآن من جهة بيانه ونظمه، فإنه لا يجعل ذلك في لغة العرب فقط، بل هو كائن في سائر لغات البشر، وذلك على وجه اللزوم إذ إنه متى ظهر إعجازه على العرب، فإن ظهوره على غيرهم من باب أولى.

يقول محمود شاكر رحمه الله: «...أن الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه، ومباينة خصائصه للمعهود من كل نظم وبيان في لغة العرب، ثم في سائر لغات البشر، ثم في بيان الثقلين جميعا إنسهم وجنهم متظاهرين»[2].

وفي خاتمة كتابه "مداخل إعجاز القرآن" يقول مفصحا عن النتيجة التي يوصل إليها والقناعة التي أرسى عندها: « وهي: ـ آية القرآن ـ أن بيانه هي الدليل القاطع على أنه ليس من البشر، وأنه كتاب منزل من السماء، وأنه هو كلام رب العالمين»[3].

ثم يخلص في الأخير شاكر إلى نتيجة حاسمة يعلنها للدارسين فيقول: « فالقرآن هو آية الله في الأرض آيته المعجزة من **الوجه الذي كان به معجزا للعرب**، ثم للبشر، ثم للثقلين جميعا»[4].

بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فأورد أثر الإمام مالك رحمه الله إذ يقول :« لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»[5].

---

1 – المداخل ص 158.

2 – المصدر السابق، ص 162.

3 – المصدر نفسه، ص 190.

4 – المصدر نفسه، ص 163.

5 – مسند الموطأ، تأليف: الحافظ أبي القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بم محمد الجوهري، تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، وطه بن علي بوسريح، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان–، الطبعة الأولى، سنة: 1997، باب الواو ، ص 584.

يقول محمود شاكر معلقا على هذا الأثر: « فإذا كان أولها لم يصلح إلا بالبيان، فآخرها لن يصلح إلا به، **وإنْ امرأ يقتل لغته وبيانها، وآخر يقتل نفسه، لمثلان والثاني أعقل الرجلين!**»[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – المداخل، ص 191.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

لقد كان لمحمود شاكر في قضية إعجاز القرآن كلامٌ وافق فيه غيره من أهل العلم، وكلامٌ آخر خالف فيه، مستندًا في ذلك كله إلى دلائل علمية، من خلال الدراسة والتحليل، والتأمل والمقارنة، فوقف وقفات مع من سبقه إلى قضية إعجاز القرآن، وخاصة الأعلام الذين كان لهم الأثر الواضح فيها، ولقد اخترت أعلاما من أولئك، وآثرت أن يكون لكل مدرسة ممثلا، فالجاحظ لمدرسة المعتزلة، والخطابي لأهل السنة والجماعة، والباقلاني للأشاعرة، ثم مالك بن نبي كأنموذج عن الدراسات المعاصرة، وذلك كله لقصد بيان موقف شاكر منهم، وسأبحث ذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والجاحظ.

المبحث الثاني: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والخطابي.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والباقلاني.

المبحث الرابع: إعجاز القرآن بين محمود شاكر ومالك بن نبي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والجاحظ.

اهتم الأستاذ شاكر بكلام أبي عثمان الجاحظ[1] اهتماما بالغا، حتى إنه كلما ذكر عالما من علماء الإعجاز، ثم وجد لذكر الجاحظ مناسبة إلا وأدرجه ضمن كلامه و لم يفوت ذلك، وما ذلك إلاَّ لمكانة الجاحظ من درس الإعجاز، كيف وهو السبَّاق إلى الدرس، وذلك لأنه على حد وصف محمود شاكر له أنه « قد استطاع ببراعته وبيانه وتدفقه، أن يضع في هذا الكتاب* ألفاظا عظيمة الوقع في النفوس بإلهامها واستثارتها، ونثرها في جمل بارعة الصِّياغة متألقة الألفاظ فجاءت مثيرة لكوامن الخواطر قريبة الإيحاء بالمعاني البعيدة»[2].

وقد استوقف درسُ الإعجاز عند الجاحظ الأستاذَ شاكر في نقاط مهمة، هي التي أحاول أن أبرزها من خلال هذا المبحث في المطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان سبق الجاحظ إلى الإعجاز وتأسيس مصطلحاته.

المطلب الثاني: تحقيق مذهب الجاحظ في مسألة القول بالصرفة.

المطلب الثالث: بيان وجه الإعجاز عند الجاحظ "نظم القرآن الكريم".

---

[1] – الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر البصري المعتزلي، العلامة، المتبحر، ذو الفنون ، صاحب التصانيف، أخذ عن: النظام، وكان أحد الأذكياء ، من بحور العلم.

قيل: لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته، حتى إنه كان يكتري دكاكين الكتبيين، ويبيت فيها للمطالعة، وكان باقعة في قوة الحفظ. وتصانيف الجاحظ كثيرة جدا أشهرها: "الحيوان" "البيان والتبيين".

قال ابن زبر: مات سنة خمسين ومائتين.وقال الصولي: مات سنة خمس وخمسين ومائتين.سير أعلام النبلاء للذهبي 526/11.وانظر في ترجمته : معجم الأدباء"إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تأليف: ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت –لبنان–، الطبعة الأولى: سنة 1993م، رقم الترجمة: 872، ج5 ص 2101، وفيات الأعيان 3 / 470، 475، العبر 1 / 456، البداية والنهاية 11 / 19، 20، بغية الوعاة: 265، شذرات الذهب: 2 / 121، 122.

* يريد كتابه الموسوم بـ: "الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه".

2 – مداخل إعجاز القرآن، ص75.

المطلب الأول: بيان سبق الجاحظ إلى درس الإعجاز وتأسيس مصطلحاته.

لقد انتبه محمود شاكر رحمه الله إلى نقطة مهمة من تاريخ إعجاز القرآن الكريم والتأليف فيه، فكشف أن أبا عثمان الجاحظ كان له قصب السبق إلى درس الإعجاز، وأنه أول من أثار الكلام حول هذه القضية التي سيصير لها الشأن العظيم بعد الجاحظ وأن الجاحظ سيبقى أول من أحدث الشنشنة عن الدرس.

وقد نوّه شاكر بهذا السبق للجاحظ في درس الإعجاز، بعدما ذكر كلمة لابن الخياط المعتزلي* - عن منزلة الجاحظ عند المتكلمين-، فقال معلقا: « وهي تقطع -أي شهادة ابن الخياط -، بأن أول قائل في القرآن من جهة النّظم والتأليف هو أبو عثمان»[1].

هذا بالنسبة للنّظم، أما بالنّسبة للإعجاز عموما والسَّبق في ذلك فيقول شاكر كاشفًا عن هذه الحقيقة الواقعة:«...والجاحظ أول من ألَّف في شأن إعجاز القرآن»[2]، وهذه شهادة صريحة للجاحظ بهذا السبق، وليس الأستاذ شاكر وحده من ادعى ذلك، بل نجد كثيرا من العلماء يطبق على هذه الحقيقة، فهذا الدكتور محمد موسى الشريف في رسالته "إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء - دراسة مقارنة-" يقول بعد ذكر رسالة الجاحظ "حجج النبوة": « الجاحظ برسالته هذه هو أول باحث في الإعجاز على معناه، وجعله موضوعا خاصا للنظر والدرس، أما الذين جاؤوا قبل الجاحظ، فلم يكن البحث عندهم قائما على هذا الوجه، إنما كان نُتفا متفرقة، أو آراء ينقصها التمحيص والتدقيق»[3].

---

* قال ابن الخياط :«لا يعرف المتكلمون أحدا منهم نصر الرسالة واحتجّ للنبوة، بلغ في ذلك ما بلغه الجاحظ، ولا يعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه، وأن حجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على نبوته = غير الجاحظ»، نقلا من المداخل ص 70.،

وفي كتاب ابن الخياط وجدته يقول أيضا: «فمن قرأ كتب عمرو الجاحظ في الرد على المشبهة وكتابه في الأخبار وإثبات النبوة وكتابه في نظم القرآن علم أن له في الإسلام غناء عظيما لم يكن الله ﷻ ليضيعه له» = الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تأليف: أبو الحسين عبد الرحيم بن الخياط المعتزلي، مع مقدمة وتحقيق وتعليقات: الدكتور: نيبرج، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2: بيروت –لبنان–، سنة: 1433هـ/1925م، ص 22.

1- المداخل، ص 70.

2 – المصدر نفسه، ص27-28.

3 – إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء – دراسة مقارنة –، تأليف محمد موسى الشريف، دار الأندلس =

وأما عبد الكريم الخطيب في كتابه "الإعجاز في دراسات السابقين"، فيقول:« ونستطيع في هذا المجال أن نجعل الجاحظ على رأس أولئك النظّار الذين نظروا في بلاغة القرآن، وحاولوا أن يعرفوا السبيل إلى وجه الإعجاز فيه.

فقد كان الجاحظ - فيما نرى- أول من نظر هذه النظرة في كتاب الله ﷻ، وحاول أن يجعلها موضوعا من موضوعات رسائله وكتبه التي جال بها في كل مجال، واصطاد بها كل عجيب وغريب.

...ثم جاء بعد الجاحظ كثيرون، جروا على طريقته، وأخذوا مأخذه، وحاولوا أن يكون لهم نظر خاص إلى جانب رأي الجاحظ، ولكنهم كانوا دائما يدورون حوله، ولا يجيئون-في الغالب- بجديد عليه»[1].

أما الدكتور عبد العزيز العواجي في رسالته إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام، فيقول: «وكأنَّ الباقلاني رحمه الله نسي أن الجاحظ وضع كتابه قبل اكتمال جمع وتدوين علوم البلاغة، وأنه لم يسبق إلى هذا التأليف، فكان هو اللبنة الأولى.

ثم إن الباقلاني أيضا لم يزد كثيرا عما أتى به من كان قبله، فالبناء لا يتكامل إلا بالترابط، وعمل اللاحق على إكمال السابق، وهذا عام في شأن الحياة كلها، وليس مجرد تأليف»[2].

• أما عن **مصطلحات الدرس**؛ فإن الأستاذ شاكر رحمه الله لما كان بصدد الكلام عن المصطلحات مثل:"الإعجاز، التحدي، المعجزة" بيَّن جُهد الجاحظ في ابتكار مصطلحات درس الإعجاز ،إلاّ أنّه لم يقصد لها قصدا، ولكنّه « استطاع ببراعته وبيانه وتدفقه ، أن يستخرج من أعماق اللغة نعوتا لأقصى ما يجده في أغوار نفسه من أثر تذوق القرآن العظيم ، فجاءته ألفاظ عظيمة الوقع في النفوس بإلهامهما واستثارتها ، وكان يبثها في سياق كلامه

=

الخضراء – جدة – السعودية، ط2، سنة: 1422هـ/2002م. ص77.

1 – إعجاز القرآن في دراسات السابقين، تأليف: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي- بيروت- لبنان، ط1: سنة 1974م، ص 148–149.

2- إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام، إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني ،تأليف :د.محمد عبد العزيز العواجي ،مكتبة دار المنهاج الرياض – السعودية الطبعة الأولى 1427هـ. ص 103-104.

حاملة صدقه وإخلاصه وتدفقه ونفاذ تذوقه ، فتألقت تألقا يثير كوامن الخواطر من مثل قوله (نظم القرآن، وبديع تركيبه ، وغريب تأليفه ...»[1].

فمثلا لما عرض محمود شاكر لمصطلح التحدي، وهو يؤرخ له قال: «..وأقدم ما وقفت عليه من ذكر التحدي بهذا المعنى المحدث، هو كلام أبي عثمان الجاحظ، ولا سيما في رسالته «حجج النبوة »»[2]

وفي الحديث عن الصرفة نبّه محمود شاكر إلى أن أول من وضع المصطلح هما: النظام، والجاحظ، فيقول: « ولا أدري كيف ضل الرجلان في تيه الحِوار والمناظرة، حتى اهتديا بعد الإرهاق والتعب والهمود والخمود، إلى قول مذهل للعقول سمياه: "الصرفة"»[3].

ومما سبق إليه الجاحظ كذلك في هذا الدرس رفقة صاحبه وابن مدرسته النظام، أنهما جعلا مدار آيات الأنبياء قائم على عجز الخليقة، وقد اهتدى لذلك شاكر بعد حيرة محفوفة بالهيبة، يقول: « كان من حيرتي أني لا أستطيع أن أكتم ما هتكتُ عنه الحجاب من أن أبا إسحاق النظام وأبا عثمان الجاحظ، هما وحدهما اللذان تعاونا على صياغة هذا الشرط: "مدار الآية على عجز الخليقة"»[4].

1 – المداخل، ص 95–96.
2 – المصدر نفسه، ص 22.
3 – المصدر نفسه، ص 56–57.
4 – المصدر نفسه، ص 52.

المطلب الثاني: تحقيق مذهب الجاحظ في مسألة القول بالصرفة.

إن الذي يـــتتبع الكلام عن الجاحظ في درس إعجاز القرآن الكريم؛ وبالخصوص في قضية القول بالصرفة، يجد أن العلماء في بيان ذلك على مذاهبَ شتى:

• فمنهم من يرى أن الجاحظ قال بها ونصرها، مثل ما استظهره الدكتور عبـــد الفتـــاح سلامة في بحث له، إذ يقول: « ومن ثَمَّ كان رأي الجاحظ في القول بالصرفة هو الذي جعل لرأي النظام بعدُ هذا مكانا بين الآراء التي دارت حول إعجاز القرآن، ولولا هذا لما التفـــت الناس إلى رأي النظام هذا الالتفات، ولما عاش هذا الرأي في الناس، ينقضونه حينا ويقبلونه أحيانا...»[1].

• ومنهم من نفاها عنه واستبعدها، من هؤلاء على سبيل المثال الدكتور عبد الـــرؤوف مخلوف الذي يقول في كتابه عندما أورد نصا عن الجاحظ يُفهم منه أن الصرفة لم تجد قبولا عند الجاحظ : «...فواضحٌ من هذا النص أن فكرة الصرفة التي قال بها النظام وأصـــحابه لم تجد قبولا من الجاحظ، فتصدى هو لنقضها وردها وقال بالنظم بديلا منها»[2]. بل ذهب إلى أبعد من ذلك لَمَّـــا قال: «وأميـــل إلى أن الجاحظ كان يرد بكتابه نظم القرآن على دعاوى الذاهبين في الإعجاز إلى أنه بالصرفة»[3].

• ومنهم من قال أنه جَمَع بين القول بالصرفة، والإعجاز بالنظم وبالتالي يكون قد وقع في الـــتناقض على عادة أهل الكلام، ويشهد لذلك ما قاله مصطفى صادق الرافعي في كتابـــه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: « غير أن الرجل كثير الاضطراب، فإن هؤلاء المتكلمين كأنما كانوا من عصرهم في مُنْخَل...ولذلك لم يسلم هو أيضا من القول بالصرفة، وإن كان قـــد أخفاها وأومأ إليها عن عُرض»[4].

---

1 – مقال عنوانه: أضواء على القرآن الكريم، بلاغته وإعجازه للدكتور: عبد الفتاح محمد سلامة./مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 20،ص 463..

2 – الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، ص 36.

3 – المصدر نفسه، ص40.

4 – إعجاز القرآن الكريم، والبلاغة النبوية،تأليف: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان–، طبعة: 1425هـ/2005م، ص 102–103.

وكذلك كان رأي منير سلطان، إذ يقول: «لقد نادى الجاحظ بأن القرآن معجز بالصرفة ومعجز بالنظم، ... فالصرفة وجه من وجوه الإعجاز، ولكن بعد أن قامت المعارضة، وفشلت، واعترف العرب بالعجز، وشهدوا بأن القرآن معجز لنظمه»[1].

• ومنهم من تردد في ذلك فلم يفصح عن مذهب الجاحظ، وربما تأول له ، كمثل ما فعل الدكتور نعيم الحمصي، الذي يقول في كتابه فكرة إعجاز القرآن :« وذُكر للجاحظ قولان في الإعجاز:القول بالصرفة، والقول بإعجاز الأسلوب، فهل قال بالأول حين كان لا يزال متأثرا بآراء أستاذه النظام، وبالثاني حين استقلَّ بنفسه، أو أنه جمع بين الرأيين معا ؟، لا ندري فإنه يذكر الرأيين في كتابه الحيوان متتاليين تقريبا»[2].

ثم ذكر تعليقا على رأيه السالف الذكر فقال:«وأنا أستبعد أن يكون الجاحظ قد قال بالقولين معًا في وقت واحد لما نعرفه عنه من قوة التفكير ووضوح الحجة، فإن الرأيين متناقضان».

ومثله فعل الدكتور محمد أبو موسى، الذي تأوَّل رأي الجاحظ في الصرفة تأولا بعيدا ، فقال: « والصرف هنا للصرفة التي ذكرها النظام، وأنكرها الجاحظ مباينة لا تلتبس، فلولا الصرف عند النظام لجاءوا بمثله، أما صرفة الجاحظ هذه فلولاها لطمعوا فيه، ولو طمع فيه بعضهم وتكلفه فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظُمت القصة على الأعراب وأشباه الأعراب، والنساء...»[3].

وأمَّا الأستاذ شاكر رحمه الله فقد حلّل القضية تحليلا بديعا، وذلك من خلال منهجه في تتبع كلام الجاحظ والتأريخ له ومعرفة المتقدم منه من المتأخر، فخلُص بذلك إلى قول مقنع، وسأقوم ببيان موقف الأستاذ شاكر بالاستعانة بتقسيم كلامه إلى نقاط مهمة:

---

1 –إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، ص61– 62.

2 – فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى العصر الحاضر، تأليف نُعيم الحمصي، دار الرسالة بيروت – لبنان–، ط2، سنة: 1400ه/1980م، ص 56.

3 – الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، تأليف محمد أبو موسى، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط2: سنة 1405ه، ص 363.

- الأولى: الجاحظ و النظام يمهدان للصرفة
- الثانية: الجاحظ يتناقض في القول بالصرفة.
- الثالثة: الجاحظ ينجو من القول بالصرفة.

فأما النقطة الأولى: فهي ابتداء الجاحظ والنظام بالتمهيد للقول بالصرفة وذلك بوضع شرط لآية النبي والذي يجعل مدار الآية على "عجز الخليقة"؛ وبالتالي يسهل القول بالصرفة ويستساغ من غير نكير، فتصبح بعد ذلك الوجه الوحيد لإعجاز القرآن.

وفي هذا كله يقول الأستاذ شاكر: «فالأمر البيِّن الذي لا يحتاج إلى ستره إبهام ولا غموض، هو أنهما هما اللذان كانا أول من وضع هذا الشرط "مدار الآية على عجز الخليقة "، ثم تداولاه جميعا حتى صاغاه هذه الصياغة »[1].

وهذه الحقيقة العظيمة في درس الإعجاز إنما وصل إليها الأستاذ شاكر بعد عناء كبير وجهد مضنٍ إذ يقول عن هذا :«كان من حيرتي أني لا أستطيع أن أكتم أن ما هتكت عنه الحجاب من أن أبا إسحق النظام، وأبا عثمان الجاحظ هما وحدهما اللذان تعاونا على صياغة هذا الشرط "مدار الآية على عجز الخليقة" = لم يجر على هذا الوجه السهل المرتب من النظر في آيات الرسل أولا، ثم في القرآن من بعدُ بل الأمر أعقد من ذلك، واستنباط ما **تضمره القلوب وما غيبه الفناء البعيد في أكفانه أمر بليغ الوعورة والعسر**»[2].

أما النقطة الثانية: وهي المتمثلة في الكشف عن وقوع الجاحظ في التناقض في مسألة الصرفة وذلك لصعوبة مسلكها وسهولة الانطلاء بها يقول محمود شاكر في بيان هذا التناقض من أبي عثمان الجاحظ:«ولكن الأعجوبة أن هذا الظاهر الذي لاشك في تبلُّجِه ووضوحه - وهو بطلان القول بالصرفة-؛ لم يكن إلا تناقضا فاضحا في مذهب أبي عثمان »[3].

---

[1] - مداخل إعجاز القرآن، ص51.

[2] - المصدر السابق، ص 52.

3 - المصدر نفسه، ص 65.

ثم لا يستغرب شاكر وقوع هذا التناقض من الجاحظ إذ يقول:«لكن هكذا كان ما كان من أبي عثمان الجاحظ البليغ المعتزلي !!، عقلٌ واحدٌ يجمع بين متناقضين جمعا لا غضاضة فيه عليه ! "وهل يجمع السيفان ويحك في غمد"؟

كما تعجب أبو ذؤيب الهذلي من أمر صاحبته أم عمرو ، فأنا أتعجب أيضا من أمر صاحبي أبي عثمان»[1].

وأما النقطة الثالثة فهي تكمن في الوقوف على نجاة الجاحظ من القول بالصرفة وهي آخر مراحل الجاحظ مع الصرفة المحيرة قال: «أما هو - أي الجاحظ- فقد أنجاه فزعه من مثل ما تخبط فيه خليله، وهداه ما فطر عليه من تذوق البيان، ومن يقظة الحس، ومن بشاشة الطبع، فأدرك إدراكا خفيا أن الأمر أجل من أن يتردد فيه متردد»[2].

ثم يجلي شاكر ذلك بوضوح إذ يقول :« وهاتان الكلمتان اللّتان كتبهما أبو عثمان - يريد بهما ما ذكره الجاحظ في كتابه حجج النبوة في رد الإعجاز إلى نظم القرآن وطبعه وتأليفه مخرجه- تدلان دلالة ظاهرة أن الخلة بين الخليلين قد تهتكت، وأنّ أبا عثمان قد رمى بعقل خليله أبي إسحاق النظام تحت قدميه، ووطئه وطأة المتثاقل»[3].

ومن خلال كل ما سبق يبدو لنا جليا موقف شاكر، وأنه موقف مباين لجلِّ الباحثين في مسألة الإعجاز عند الجاحظ، وأن شاكر قد أعطى المسألة حقها من التدقيق والتمحيص، وأحسن ترتيبها ترتيبا منطقيا وتاريخيا، وقد وقفت على رسالة بعد أن كنت على وشك إنهاء هذا المبحث للدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري بعنوان:"القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم - عرض ونقد-"، والذي أشاد بعمل شاكر، إلا أنه قال معترضا: « ولم يبين أبو فهر رَحِمَهُ اللَّهُ مصدره الذي اعتمد عليه في القطع بأن النظام والجاحظ معا قد وضعا مقولة الصرفة، وأن رأيهما في الصرفة متفق، سوى تحليله الذي يدلُّ عليه كلام الجاحظ...»[4]،

1- المداخل، ص 67.

2 - المصدر السابق، ص 63.

3 - المصدر نفسه، ص65.

4 - القول بالصرفة في إعجاز القرآن – عرض ونقد–،ص 69.

وربما يكون كلام الشهري له وجه من النظر، لكن الذي أراه جوابا على الدكتور أن الأستاذ اعتمد أساسا على منهجه في التذوق، فشاكر جمع كلام الجاحظ المتفرق، ونظر في مواقفه من القول بالصرفة، ثم اهتدى إلى ما أورده في مقالاته حول الإعجاز، وإن كان هذا قد لا يكون مقنعا في البحث العلمي، إلا أنه ينال اعتباره من التحليل الذي أورده الجاحظ، والذي أراه ليس ببعيد عن الحقيقة العلمية، والله ﷻ أعلم.

ثم نجد الأستاذ شاكر بعد هذه الوقفات والتأملات في كلام الجاحظ يصل إلى تحليل نفسي لموقف أبي عثمان من الصرفة « وأنه عانى معها معاناة ظاهرة مما يشعر به من التناقض بين قوله بالصرفة، وما هُدي إليه بعد بذل أقصى الجهد»[1].

يقول في ختام بحثه موضحا نتيجة وصل إليها من خلال تذوق كلام الجاحظ، وتحقيق لمواقفه: «وأظنه لولا الحياء و الِإلْف لفارق أبو عثمان الشك المتلفِّع إلى اليقين السافر، ولطرح الصرفة إلى حيث تستحق أن تطرح»[2].

1 – المداخل، ص 68.

2 – المصدر نفسه، ص 68

المطلب الثالث: بيان وجه إعجاز القرآن عند الجاحظ "النظم القرآني".

لا يُنكر أحد مكانة الجاحظ من البلاغة العربيّة و مدى تذوقه البيان العربي ويقظة حسه وبشاشة طبعه؛ ذلك ما كان عاصما له من القول بالصرفة من جهة، واعتناؤه ببلاغة القرآن الكريم من جهة أخرى بتذوق بيانه « وقد فزع الجاحظ إلى تذوقه لبيان القرآن، وهو التذوق الذي كان عليه سائر المسلمين من عهد الصحابة الأُوَل، وتبينهم تبينا لا لَبْس فيه أن هذا القرآن الذي نزل عليهم بلسان عربي مبين ليس يشبه بيان أئمة الشعراء وأصحاب الألسنة البليغة، وأنه نمط متفرد لا يطابق تأليفه وتركيبه أنماط المألوف من بيانهم، وهم مطبقون جميعا بهذا التذوق على أنه كلام رب العالمين المباين لكلام البشر»[1].

وبيَّن محمود شاكر رحمه الله من خلال كتب الجاحظ ، وبخاصة منها كتاب "حجج النبوة" وكتاب "الحيوان"؛ عناية الجاحظ بنظم القرآن الكريم بل قد كان السباق إلى ذلك يقول شاكر: «وحَسْب أبي عثمان فضيلةً وفضلاً أنّه هو الذي افتتح هذا الباب بألفاظه البارعة القوية الإيحاء ، وبثَّها في سياق تركيب كلامه، حاملةً تدفُّقه في نعت ما يجده في نفسه من وقع القرآن عليها وتأثيره فيها، فمهَّد لمن بعده أن يتناول القضية تناولا يعينه على أن يصوغها صياغةً قابلةً للإثبات، وذلك بأن يستخرج العلة التي كان هذا القرآن بنظمه وبيانه، مما لا يقدر على مثله العباد، ومن أي وجه يتبين للبليغ، إذا سمع سورة منه، أنه عاجز عنها؟»[2].

وقد لاحظ الأستاذ شاكر ملاحظة مهمة سجلها في كتابه وهي :«أن أبا عثمان لم يذكر قط "بلاغة القرآن" ، ولم يجعلها الوجه الذي كان منه عجز العرب عن معارضته ، مع أنه كان يذكر في هذا الصدد "بلاغة الشعراء والخطباء"، ويذكر أبلغ العرب، وأشباه ذلك، دون أن يستخرج منه أن "وجه إعجاز القرآن" **هو بلاغته** »[3].

---

[1] - المداخل، ص74.

2 المصدر نفسه، ص 76.

3- المصدر نفسه، ص 76.

وربما من الجدير بالذكر والمناسب في هذا المبحث إيقاف القارئ على نصوص من كلام الجاحظ ليعلم أن ذلك ليس مجرد دعوة أُلصقت باسم الجاحظ من جهة، وليعلم من جهة أخرى سبق الجاحظ إلى أشياء كثيرة، وبخاصة ما له تعلق بالقرآن الكريم، من جهة اللغة ، وبيانها.

من ذلكم قوله في علو مرتبة البيان في القرآن الكريم:«...ولأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة **لتبيَّن له من نظامها ومخرجها، ومن لفظها وطبعها أنه عاجز عن مثلها، ولو** تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها»[1].

ويقول كذلك في موضع آخر في المعنى نفسه: « ولو أراد أنطق الإنس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على **نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه** ، لما قدَرَ عليه ، ولو استعان بجميع قحطان ومعدّ وعدنان»[2].

وفي موضع آخر من الكتاب يقول في الإشادة بنظم القرآن وتأليفه الذي شهِد به خصوم القرآن الذين كانوا على جانب كبير من البيان والمعرفة بأضربه وتصرفاته :«...وأنه **تحدّى** البلغاء والخطباء والشعراء **بنظمه وتأليفه في** المواضع الكثيرة، والمحافل العظيمة ، فلم يرم ذلك أحد ، ولا تكلفه ، ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه ، ولا ادعى أنه قد فعل»[3].

---

[1] – رسائل الجاحظ/ رسالة حجج النبوة،، ج3/ص299.

2 – المصدر السابق، ج3/ص230.

3 – المصدر نفسه، ج3/ص250.

المبحث الثاني: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والخطابي:

اعتنى الأستاذ شاكر برسالة الإمام الخطابي، وأثنى عليها الثناء البالغ على الرغم أنها عبارة عن ورقات معدودة، لكن الخطابي من خلالها أثار مسائل مهمة، خاصة ما يتعلق بأوجه الإعجاز.

وتظهر عناية شاكر بالرسالة من خلال ذكره لمجمل مباحثها على وجه الاختصار، فقد قام بتحليلها تحليلاً دقيقًا،ووقف من خلالها على قضايا مهمة من درس الإعجاز لعل أهمها ، ما سأتناوله في هذه المطالب:

المطلب الأول: بيان أوجه الإعجاز التي اعتنى بها الخطابي في رسالته.

المطلب الثاني: مشكلة ماهية البلاغة عند الخطابي.

المطلب الثالث: مناقشة رأي شاكر في موقفه من البلاغة عند الخطابي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: بيان أوجه الإعجاز التي اعتنى بها الخطابي.

ذكر محمود شاكر في بداية كلامه عن رسالة الإمام الخطابي[1] رحمه الله أوجه الإعجاز عنده فقال :«...ثم ذكر أربعة وجوه في إعجاز القرآن،

- فأولها :مكان في ترك معارضته مع وقوع الحاجة إليها، وهذا دليل العجز، ثم وصفه فقال :وهذا من وجوه ما قيل فيه، أبينها دلالة، وأيسرها مئونة، وهو مقنع لمن لم تنازعه نفسه مطالعة كيفية الإعجاز فيه
- ثم ذكر الوجه الثاني، وهو "الصرفة"، فرده وأبطله.
- ثم ذكر الوجه الثالث، وهو الإخبار عن الكوامن في المستقبل الزمان، فضعّفه و لم يرده.
- ثم ذكر الوجه الرابع، فأتى فيه بكلام مهم جدا ينبغي أن تقرأه بعناية، قال :وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة ...»[2].

وهذا الاختصار والجمع دليل على استيعاب محمود شاكر لرسالة الخطابي رحمه الله، غير أن هناك أمرا مهما جدا في باب أوجه الإعجاز قد فات الأستاذ شاكر أن ينبه عليه، وهو ما جاء في آخر رسالة الخطابي، وهو وجه اعتنى به الخطابي كثيرا، وأشاد به، إذ يقول في رسالته: «قلت: في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك **صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس**، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن

---

1 - الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي؛ الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، صاحب التصانيف، ولد:سنة بضع عشرة وثلاث مائة. قال أبو طاهر السِّلفي، قال: وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف منصف على مصنفاته، واطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته، تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته، وكان ، كثير التصانيف، منها"معالم السنن"، وكتابه في غريب الحديث، ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد ولا ابن قتيبة في كتابيهما، وهو كتاب ممتع مفيد. قال أبو يعقوب القراب:توفي الخطابي ببست، في شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة. سير أعلام النبلاء للذهبي 23/17، البداية والنهاية 11 / 236، 237، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، الناشر دار بن كثير، دمشق، طبعة عام: 1406هـ.ج3 ص 127، 128.

2- مداخل إعجاز القرآن ص 82-83.

الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتترعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها، وعقائدها الراسخة فيها ...»[1].

وقال أيضا: « ولما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ الجن: 1.، ومصداق ما وصفناه في أمر القرآن في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ الحشر: 21، وفي قوله ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الزمر: 23.

قال :**وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته**»[2] .

وهذا الكلام الذي ختم به الخطابي حديثه عن الإعجاز التأثيري لهو الدليل على شدة عنايته بهذا الوجه من وجوه إعجاز الذي فوّت محمود شاكر رحمه الله الحديث عنه، مع أنه وجه بالغ الأهمية، يقول محمد عطا أحمد يوسف: « وهذا الأخير - الإعجاز التأثيري-، جعله أبو سليمان حمد الخطابي رحمه الله قائما بذاته، وبيّن أصوله التي ترتبط بالقرآن، وربما رواه الصحابة...»[3].

ويقول في بيان تعريفه: «هو وجه من وجوه إعجاز القرآن، أشار إليه السابقون، ويتمثل فيما يتركه القرآن الكريم من أثر ظاهر وباطن على سامعه أو قارئه، ولا يستطيع هذا السامع أو القارئ مقاومته، ودفعه، ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به»[4].

1- ثلاث رسائل في الإعجاز ص 70

2-المصدر نفسه، ص 71

3 - مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الثالثة عشرة، العدد السادس والثلاثون، شعبان 1419هـ- ديسمبر 1998، مقال بعنوان: دراسة تاريخية وتطبيقية من القرآن والسنة النبوية، ص20.

4 - المصدر السابق، ص 22.

المطلب الثاني: إشكالية "ماهية البلاغة" عند الخطابي؟.

لقد وقف شاكر على قضية مهمة من خلال كلام الإمام الخطابي رحمه الله مع أنها جاءت في صدر الرسالة، وذلك لرهافة الحس بدرس الإعجاز عند محمود شاكر، وذلك عند قول الخطابي :« وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر، **وفي كيفيتها يعرض الإشكال، ويصعب عليهم منه الانفصال...**»[1].

فوقف الأستاذ من خلال هذه العبارات على قضية خطيرة، ألا وهي الإبهام في معنى البلاغة نفسها فقال :« ولست هنا بصدد بيان مقالة أبي سليمان، أو غيره في إعجاز القرآن، بل همي هنا أن أظهر الحقيقة، **وهي أن البلاغة التي جعلوها وجها من وجوه الإعجاز، إذا أنت ذهبت تطلب بيانها وجدتها محفوفة بالإبهام لا تثبت على النظر**»[2].

وقال أيضا : « وذلك أن لفظ "البلاغة" الذي أسند إليه "إعجاز القرآن" **كان، ولم يزل لفظا مبهما غير بيِّن المعالم، والحدود والدرجات...**»[3]

وقد اعترف الأستاذ شاكر بصنيع الخطابي وأشاد به، لأنه كان متهيِّبا من البَوْحِ بهذه الحقيقة؛ ثمّ إنه لما وجد من سبقه إلى ذلك الأمر الخطير فرح لذلك، يقول شاكر عن ذلك :« ثم إني لا أكتم عَجَبِي من أنّ أبا سليمان قد كشف هذا الإبهام كشفًا لا مرية فيه»[4]، بل وجعله أول من صرح بغموض هذا اللفظ[5].

ثم إن محمود شاكر في ختام كلامه عن تقييم رسالة الخطابي أورد حكما على بحث الخطابي في البلاغة فقال :«...فلما أراد -الخطابي- أن يقول في الإعجاز برأيه، لم يزد على ما فعله الرُّماني في تقسيم أجناس الكلام الفاضل ومراتبه، وجعلها ثلاثة :

- البليغ الرصين الجزل
- الفصيح القريب السّهل

1- ثلاث رسائل، ص24

2- المداخل، ص 84

3-المصدر السابق، ص 81

4 -المصدر نفسه، 84

5 - المصدر نفسه، 81

- الجائز المطلق الرَسِل

فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والثاني أوسطه وأقصده، والثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة...».

- ثم في الختام حكم عليه بالاضطراب، إذ يقول- وسر هذا الاضطراب بعد الاستقامة و الوضوح، هو سحر لفظ البلاغة...»[1].

هكذا انتبه الأستاذ محمود شاكر لهذه القضية العظيمة، وهذا هو نقده وحكمه عليها وعلى صاحبها الخطابي، وسأحاول في المطلب الآتي أن أناقش هذا الحكم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - المداخل، 84.

المطلب الثالث: مناقشة رأي شاكر في موقفه من البلاغة عند الخطابي.

الذي ظهر لي من خلال تأمل كلام كـــلٍّ من العالِمَيْن محمود شاكر والخطابي معا، هـــو الآتي:

فأما محمود شاكر فقد حكم على الخطابي، بأنه أورد إشكالية غموض البلاغة، لكنـــه لم يجلي ذلك الإشكال، بل لم يزد على فعل الرّماني شيئا يذكر!.

وأمَّا الخطابي؛ فأرى أنّه حاول محاولة جادة لأجل إزالة الإبهام عن معنى البلاغة، بل قد بين ذلك بيانا بالغا بارعا، لا أدري كيف لم يلتفت إليه محمود شاكر.

فإننا نجد الخطابي يقول في بداية رسالته عن البلاغة :«...وفي كيفيتها -البلاغة- يـــعْرِض لهم الإشكال، ويصعب عليهم منه الانفصال، ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جـــروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن دون التحقيـــق لـــه وإحاطة العلم به، ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد البلاغة التي اختص بها القرآن الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنـــواع الكـــلام الموصـــوف بالبلاغة؟ قالوا :إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره مـــن الكلام، وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده، وأحالوا علـــى سائر أجناس الكلام الذي يقع منه التفاضل، فتقع في نفوس العلماء به عند سماعـــه معرفـــة ذلك، ويتميز في أفهامهم قبيل الفاضل من المفضول.

قالوا :وقد يخفى سببه عند البحث ويظهر أثره في النّفس حتى لا يلتبس على ذَوي العلـــم والمعرفة به قالوا :وقد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع وهشاشةٌ في النَّفس لا توجـــد مثلها لغيره منه، والكلامان معا فصيحان، ثم لا يوقف لشيءٍ من ذلك على علةٍ.

ثم قال رحمه الله **وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم، ولا يشفي من داء الجهل به، وإنمـــا هـــو إشكال أحيل على إبهام**»[1].

هذا هو الكلام الذي وقف عنده محمود شاكر كثيرا، وأوقف عنده القارئ، ونظر فيـــه وقدّر، ثم نظر وفكّر حتى خرج منه بالذي ذكرنا، ولكن إذا تأملنا كتابة الخطـــابي الرائقـــة

1- ثلاث رسائل، ص 24-25.

وجدنا أشياء مهمة ومهمة جدا، تحملنا على عدم التسليم لحكم الأستاذ شاكر،من ذلكم قول الخطابي رحمه الله: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني»[1].

وقال أيضا :« ومعلوم **أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين شتاتها حتى تنتظم** وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرهم، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله»[2].

وقال في موضع آخر: « ثم اعلم أن عمود **هذه البلاغة** التي تجمع هذه ا لصفات **وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص والأشكل به** الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه :

- إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام
- وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»[3].

فهذه الجمل والعبارات العلمية العميقة تدل على أن الخطابي رحمه الله أراد أن يُسهم في رفع اللَّبس عن معنى البلاغة التي عسر الوقوف على تحديد معالمها إسهاما يبلغ به ما لم يبلغه من تكلم قبله في البلاغة و لم يحدد لها معنى مقنعا، كما أراد بيان وجه الصواب في ذلك على وجه التدقيق؛ بل أوضح من ذلك كله أنه نجده يقول: «**إنا قدمنا من بيان أوصاف بلاغة القرآن وذكرنا من شرائطها ما أسقطنا به عن أنفسنا هذا السؤال**»[4].

ثم تكلم عن تلك الشرائط - وهي الألفاظ والمعاني والنظم -، فقال رحمه الله: «وقد قال بعض العلماء في الأسماء اللغوية-أي الألفاظ-، وهي نوع واحد من الأنواع الثلاثة التي شرطنا أنه لا يجوز أن يحيط بها إلا نبي....

• فأما المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناها أشد لأنها نتائج العقول وولائد الأفهام وبنات الأفكار.

1- ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 23.

2 - المصدر نفسه، ص 28.

3 - المصدر نفسه، ص 29.

4 - المصدر نفسه، ص 35.

• وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، و به تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان»[1].

ولاشك أن هذا الجهد من الخطابي إنما أراد به إجلاء الغموض الذي أحاط بالبلاغة، وبخاصة بلاغة القرآن الكريم فضلا عن غيرها من بلاغات سائر أنواع الكلام الأخرى لحصول الإعجاز بها على وجه مخصوص.

والذي ظهر لي من خلال رسالة الخطابي أنه إنما ألفها ابتداء لهذا الغرض العظيم ألا وهو كشف الإبهام المحفوف بالبلاغة لذلك نجده يعتني بذكرها وبيان شرائطها وخصائصها، فنجده مثلا يحدد موقع الغرابة من البلاغة فيقول:«...وهذا يدلك على أن **البلاغة** لا تعبأ بالغرابة ولا تعمل بها شيئا»[2].

وتحدث عن الإيجاز فقال: « **فإن الإيجاز** في موضعه وحذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة»[3].

وقال عن تأثير البلاغة: «ومواقع **البلاغة** معتبرة لمواضعها من الحاجة»[4].

وقال وهو ينتقد كلام مسيلمة الذي عارض به القرآن، بحجة أنه خال مما يُشترط للبلاغة:«...ولا فيه شيء من الشرائط الثلاث التي **هي أركان البلاغة**، وإنما تكلف هذا الكلام الغث لأجل ما فيه من السجع »[5].

ففي هذه النقول من رسالة لخطابي رحمه الله وعلى كونها رسالة مختصرة، نجد أنه كان لشأن البلاغة منها القدر الأعظم والحظ الأوفر ، ويتبين لنا كذلك أن الخطابي إنما قصد بها بيان بلاغة القرآن التي عدها جمهور العلماء أهم وجه من وجوه إعجاز القرآن.

1- ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 36.

2- المصدر السابق، ص 37.

3 – المصدر نفسه، ص 51-52.

4- البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، تأليف: فضل حسن عباس ،دار النفائس للنشر والتوزيع عمان-الأدرن، ط1: 1432- 2011، ص 121.

5 – ثلاث رسائل، ص 56.

ولقد ذكر هذه الحقيقة الدكتور فضل حسن عباس فقال: «والحقَ أقول: إن رسالة الخطابي على قلة أوراقها وصغر حجمها، جمعت علما غزيرا، وفوائد جمة **كانت أساسا لنظرية النظم التي اكتملت عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني** رحمه الله كما كانت أساسا للحديث عن المفردات التي تحدث عنها الراغب الأصفهاني وغيره، وقد تحدث الخطابي عن قضايا نقدية تتعلق بالشعر، إن دلت على شيء فإنما تدل على رسوخ قدمه ورفعة شأنه، وغزارة علمه في هذا المضمار»[1].

كما يقول الدكتور عبد الرؤوف مخلوف منوها بهذه الحقيقة العلمية: «وهكذا نرى الخطابي وقد ردَّ الإعجاز كله إلى الفنية في النظم، وردّ هذه الفنية إلى الملائمة بين جُنوس البلاغة الثلاثة، حتى جاءت ولا نشاز بينها، وإنما انسجم الرصين الجزل، مع الفصيح السهل، وامتزج هذان بالطلق الرَّسْل، وكان من وراء ذلك كله هذا البيان المعجز»[2]، ثم يقول في موضع آخر :« ولا يقف الخطابي عند هذا الحد من تقرير الأصول ووضع القواعد، **وتحديد الرسوم للبلاغة**، وإنما يأخذ نفسه بتحليل طائفة من الآيات...»[3].

وكما نجد نعيم الحمصي يقول في هذا الصدد: «...فيكون مفهومه عن البلاغة قريبا جدا من الكمال»[4].

وها هو الخالدي يصرُّح بأوضح من ذلك كله، فيقول: « إن الإمام الخطابي بهذا التحديد لعناصر البلاغة في الكلام يقرر نظرية "النظم القرآني"، وهي النظرية التي فصلها الإمام عبد القاهر الجرجاني بعد ذلك.

ولقد سبق الخطابيُّ الجرجانيَّ في القول بالنظم، ولكن للجرجانيِّ فضل التفصيل والبيان والشرح»[5].

1- البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، ص 127–128.

2 – الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية، تأليف الدكتور عبد الرؤوف مخلوف، دار مكتبة الحياة بيروت، طبعة 1978م، ص 52.

3 – – المصدر نفسه، ص 465.

4 – فكرة إعجاز القرآن، ص 65.

5 – إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، للخالدي، ص90.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والباقلاني.

لقد أولى محمود شاكر كلام الباقلاني رحمه الله عناية بالغة وما ذلك إلا لأهمية كلامه عن مسألة الإعجاز البياني الذي شهد به جلُّ العلماء في هذا الدرس، وبخاصة من خلال كتابه إعجاز القرآن الكريم، وقد قام الأستاذ بتحليل كلامه ومناقشته مناقشة علمية فتارة يشيد الأستاذ بجهوده ويعظمها، وتارة أخرى يستهجن كلامه ويستدرك عليه، وهذا من الإنصاف الذي تَحَلَّى به شاكر رحمه الله، وهو ما نريد بيانه في هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان مكانة الباقلاني وإبراز جهوده في درس الإعجاز.

المطلب الثاني: موقف شاكر من استدراكات الباقلاني على كل من الرماني والجاحظ.

المطلب الثالث: انتقاد شاكر للباقلاني في موقفه من الشعر الجاهلي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: بيان مكانة الباقلاني وإبراز جهوده في درس الإعجاز.

لا يشك أحد من أهل العلم في مكانة القاضي الباقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ العلمية التي تبوأها في الأمة الإسلامية، و لم يفت الأستاذ شاكر التنبيه إلى ذلك فيقول:«...فهو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني "شيخ السنة، ولسان الأمة "، وهو أحد بحور العلم في القرن الرابع، وهو رأس الطبقة الثانية من أصحاب أبي الحسن الأشعري ...، وكان متكلما لا يبارى في نصرة مذهب الأشعري، ولكنه كان أيضا أديبا جيد التذوق ينفي عن نفسه صدأ الكلام»[1].

كما أثنى شاكر على كتاب القاضي، وبين جلالته، ولا غرو فإن الباقلاني مكانته من العلم لا تُجهل، وبالتالي ستكون كتاباته كذلك، والتي يعدُّمن أهمها كتابه "إعجاز القرآن"؛ الذي رام الإمام من خلاله إجلاء، وبيان وجه إعجاز القرآن، ومن أي الوجوه كان ذلك الإعجاز، وهو يزعم أنه سالك طريقا لم يسبق إليها فيقول: « إن الغرض الذي صنفنا فيه من التفصيل والكشف عن إعجاز القرآن لم نجده على التقريب الذي قصدنا، وقد رجونا أن يكون مغنيا»[2].

وشاكرٌ لم يغفل عن ذلك لما قال منبها على جلالة الكتاب: «وقد ألف القاضي الباقلاني كتابا جليل القدر فريدا هو كتاب إعجاز القرآن»[3].

وذكر كذلك سبقه إلى أبواب في الدرس له فيها السبق والريادة، فقال: «ورضي الله عن أبي بكر الباقلاني، فقد جمع في كتابه خيرا كثيرا، واستفتح بسليم فطرته أبوابًا كانت قبله مُغْلَقةً، وكشف عن وجوه البلاغة حجابًا مستورًا»[4].

و لم يكن شاكر وحده من وقف على أهمية الكتاب بعد دراسته، بل ها هو نعيم الحمصي الذي أرّخ لإعجاز القرآن منذ البعثة النبوية ، يقول عن كتاب الباقلاني: « وكتاب الباقلاني

1- المداخل، ص 85.

2- إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 246.

3- المداخل، ص 85

4ـ المصدر نفسه، ص 182.

بين كتب هؤلاء الباحثين هو الحلقة الوسطى بين الأبحاث التي تتقدم لإثبات إعجاز القرآن، وهو يلخص كلام من تقدمه من المؤلفين، وإليه تنتهي ومنه تتفرع كل الكتب التي ألفت من بعده»[1].

ولكن مع ذلك كله فإن إنصاف شاكر وعدله، لم يمنعه من بيان آفةٍ في الكتاب لا بد من ذكرها، لكي تحسن الاستفادة من الكتاب، فقال: «مع أن آفة كتابه هو أنه يحمل آفة المتكلمين من الأشاعرة، والمعتزلة جميعا في النظر بلجوئهم إلى التكثير والتشقيق والمماحكة التي تنال بها الغلبة على الخصوم»[2].

وأوضح الأستاذ شاكر بيان مكانة القاضي الباقلاني الأدبية وأظهر مدى مُكْنَتِه من تذوق الكلام العربي، وأعظمه القرآن الكريم فيقول: « والقاضي المتكلم كان أيضا **أديبا ذواقة**، فكان إذا حَزَبه الأمر في فحصه عن البلاغة ونظره فيها على طريقة المتكلمين، فزع إلى التذوق يعصمه من الزلل»[3].

أما عن بيان جهوده في البلاغة عموما ودرس الإعجاز خصوصا فانتبه الأستاذ إلى أشياء كثيرة من ذلكم أن الأستاذ أشار إلى المحاولة الجادة من القاضي في بيان معنى البلاغة، والاجتهاد في إزالة الإبهام عنها فيقول: « وقد تبين لي أن القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ منذ بدأ القول "في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن " (كتابه ص:271 إلى انتهى* من كتابه ص: 462)، كان في الحقيقة يحاول محاولة صادقة لإزالة الإبهام عن معنى البلاغة والفصاحة»[4].

فهذه الوقفات من شاكر؛ تدل دلالة واضحة على أن الأستاذ كان معتنيا بكلام الباقلاني عموما وبكتابه "إعجاز القرآن" خصوصا، ولا عجب فإن دراسة الباقلاني كانت من تاريخ إعجاز القرآن لبنة تأسيسية وتأصيلية تقعيدية للدرس.

---

1 - فكرة إعجاز القرآن الكريم، ص 42.

2- المداخل، ص 86

3-ا لمصدر نفسه، ص 87.

* **تنبيه:** كذا في الكتاب ولعل أن هناك سقْطا لحرف "أن" حتى تستقيم العبارة.

4- المداخل ص 86.

المطلب الثاني: مؤاخذة شاكر لاستدراكات الباقلاني على كلٍّ من الرماني والجاحظ.

إن القاضي الباقلاني كغيره من العلماء يستفيد ممن سبقه من أهل العلم فيأخذ ما يراه جديرا بالصواب ويُزيِّف ما لم يكن كذلك، وهذه جادة مسلوكة لدى المحققين من أهل العلم، وكان من الذين قرأ القاضي كلامهم واستفاد منه الروماني المعتزلي، والجاحظ البليغ المتكلم، فكما أفاد منهما أشياء استدرك عليهما أشياء أخر، و قد أشار شاكر إلى ذلك في مواضع كثيرة [1]، والذي يهمنا من ذلك استدراكات القاضي عليهما، وسأورد أهم تلك الاستدراكات، وأبين موقف شاكر منها.

- **فأما الروماني** فقد عرَّض به القاضي في قوله: « وقد أبنَّا لك أن من قدَّر أن البلاغة في عشرة أوجه من الكلام لا يعرف من البلاغة إلا القليل ولا يفطن منها إلا لليسير»[2].

وقد وصف شاكر هذا الكلام بالتعريض الذي هو لونٌ من ألوان التنقُّص[3]، فالروماني لما ذكر هذه الأوجه العشرة للبلاغة لم يرد بها الشكل والصورة دون النظر للمعنى والمضمون وملائمة اللفظ لهما، « والباقلاني مخلط في هذه القضية ...، وفرق بينه وبين الرماني في هذا الصدد أنَّ الرماني حينما يتحدث عن البيان تحدث عنه على أنه تأليف الكلام، وليس قسيما لأبواب البلاغة التي عددها، والتي منها التشبيه والاستعارة والتلاؤم وغيرها»[4].

وقد ذكر بعض الباحثين أن الباقلاني لّما نقل كلام الرُّماني «نَقل وآثر أن يختصر بصورة قريبةٍ من التَّشويه»[5]

---

1 - انظر مثلا: ص:87.

2- إعجاز القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، تحقيق : السيد أحمد صقر دار المعارف – القاهرة، د ت ط، ص 300.

3 - انظر ص 85 من الداخل.

4- الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، ص 316-317.

5 -إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، ص 122.

يقول فضل عباس في "البلاغة المفترى عليها": « ولقد كانت له إشارات بديعة، وملحوظات قيمة أخذها عنه المتأخرون»[1].

ومن خلال ما تم إيراده في هذا المطلب فإننا نخلص إلى أن محمود شاكر كان مصيبا في تعقبه لاستدراكات الباقلاني على الرّماني، وأن كثير من العلماء قد شاطروا شاكر الرأي.

• **وأما الجاحظ** وما أدراكم ما الجاحظ، فإن محمود شاكر لم يسامح القاضي في تعريضه به، واستهجانه لجهوده في بيان وجوه إعجاز القرآن، وذلك لما يقول القاضي:« وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله و لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى »[2]، فشاكر لم يرتض هذا الحكم إذ يعدُّه من الجور، فيقول: «وقد ذكر كتاب الجاحظ المعتزلي "نظم القرآن"، **وجار عليه فيه**»[3]، ثم قال في موضع آخر بعدما نقل مقولة الباقلاني في كتاب الجاحظ " نظم القرآن" :« **وهذه كلمة فيها بعض الغَبْن لما كان في كتاب أبي عثمان** .أما الغبن الأعظم فهو إيهام الباقلاني أن المتكلمين قد سبقوا إلى مثل ما سبق إليه الجاحظ في هذا الكتاب».

ثم نقل كلمة ابن الخياط في كتاب "الاحتجاج لنظم القرآن"، وهي قوله :« لا يعرف المتكلمون أحدا منهم نصر الرسالة واحتج للنبوة، بلغ في ذلك ما بلغه الجاحظ، ولا يعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن غير كتاب الجاحظ»[4]. ثم قال شاكر معلقا: «**هذا هو الحق الذي أنكره القاضي الباقلاني، غضًّا من أبي عثمان بغير حق وتحاملا عليه**».

و لم يكن الأستاذ شاكر رحمه الله وحده من وقف هذا الموقف من الباقلاني تجاه الجاحظ بل ها هو الدكتور العواجي يقف الموقف نفسه فينقل كلام الباقلاني السالف الذكر ثم يقول :« وكان الباقلاني رحمه الله نسي أن الجاحظ وضع كتابه قبل اكتمال جمع وتدوين علوم البلاغة، وأنه لم يسبق إلى هذا التأليف، فكان هو اللبنة الأولى.

---

1 - البلاغة المفترى عليها، ص 126.

2- المداخل ص 86.

3 - المصدر نفسه، ص 85.

4- نقلا من الداخل ص 70.

ثم إن الباقلاني أيضا لم يزد كثيرا عما أتى به من كان قبله، فالبناء لا يتكامل إلا بالترابط، وعمل اللاحق على إكمال السابق، وهذا عام في شأن الحياة كلها، وليس مجرد تأليف»[1].

وقد وقفت على كلام من لخص انتقادات الباقلاني على الجاحظ في ثلاث نقاط، وهي:« أولا: يستعين بكلام غيره للتطويل

ثانيا: لا يحتوي نثره على نظم بديع، أو كلام مليح

ثالثا: قد جاذبه بعض الكتاب طريقته، فتفوقوا عليه...

-ثم ذكر الرد على ذلك فيما لخصه- فإن كان التطويل عيبا فقد اشترك في العيب مع الجاحظ، ودعوى الباقلاني في نثر الجاحظ دعته إليها العصبية، وهي أوضح من أن تناقش، وأما عن بعض الكتاب الذين جاذبوا الجاحظ في أسلوبه، فهم تلاميذ تابعون، وليس المأموم كالإمام، ولا التلميذ كالأستاذ»[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ص 103-104.

2- إعجاز القرآن بين المعتزلة، والأشاعرة ص 121.

المطلب الثالث :انتقاد شاكر للباقلاني في موقفه من الشعر الجاهلي.

إن قضية الشعر الجاهلي هي أولا القضية التي لأجلها سال مداد الأستاذ شاكر في الكتب والمجلات والجرائد وحواشي الكتب ومقدماتها، ذلك الذي جعل شاكر حاذقا في مسألة الشعر الجاهلي، فهو لا يهادن عليها أحد مهما جلت منزلته، ولو كان صاحب المنزلة هو القاضي الباقلاني العلم الشامخ والطود الراسخ، والشعر الجاهلي كمل لا يخفى قضية لها علاقة وطيدة بإعجاز القرآن الكريم طردا وعكسا -كما سبق بيانه في فصل التأصيل-.

ولعله يحسن أن نقدم لهذا المطلب بكلام مهم، يصلح أن يكون مقدمة بين يديه، وذلك قول محمود شاكر :«... فإذن لم يكن نزول القرآن العظيم داعيا إلى هجر شعر الجاهلية، بل كان حافزا مثبتا لهذا الشعر في النفوس بتكرار التذوق والتأمل، وبالمقايسة بين بعضه بعض، وبينه وبين ما طولبوا بأن يتبيَّنوا أنه كلام الله ﷻ المفارق لكلامهم وكلام البشر.

وكان هذا القرآن العظيم مستجيشا أيضا في كل نفس رغبة في الاستكثار من شعر جاهليتهم»[1].

فأنت ترى هذه المفارقة بين الأستاذ شاكر، والباقلاني في قضية الشعر الجاهلي، و سأقص لك هذه القصة بشيء من الاختصار:

لقد استفتح الأستاذ هذا العتاب في سياق ثنائه الجميل على كتاب الباقلاني "إعجاز القرآن" ثم قال بعدما أكمل الإشادة بالكتاب:«ولكنه بعد ذلك زلّ زلة كان لها بعد ذلك آثار متلاحقة، وإن لم يقصد بها هو قصد العاقبة التي انتهت إليها».[2]، يريد بذلك مسألة التشكيك في الشعر الجاهلي التي كانت محنة الأستاذ شاكر في جزء غير يسير من حياته الأدبية التراثية.

وقد أوقفنا الأستاذ شاكر على بداية الزلة وذلك من جراء تمادي القاضي الباقلاني ومجاراته في لجاجة، وطلب الغلبة على المتكلمين والملحدين قال الأستاذ:«ثم دارت به الدنيا،

1- الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني، القاهرة –مصر، د ت ط، ص113.
2- المداخل ص 182.

لّما بلغه أن بعض جهالهم يعدل القرآن ببعض الأشعار، ويوازن غيره من الكلام».[1]، ثم يبين الأستاذ صنيع الباقلاني مع هؤلاء جراء هذا الاستفزاز منه فيقول :«فدعاك -أيها القارئ- في أوسط كتابه أن تعمد معه إلى ما لا تشك في جودته من شعر امرئ القيس، وما لا ترتاب في براعته، ولا تتوقف في فصاحته ...فطرح بين يديك هذه القصيدة وجعل يفصلها وينقدها، ويمحو من محاسنها، ويثبت، ويقف بك على مواضع خللها، ويفضي بك إلى مكان ضعفها، ولم يزل يعريها حتى كشف الغطاء عن عوارها ...فلما انتهى من ذلك افتتح فصلا شريفا نبيلا، ذكر فيه آيات من القرآن وحاول أن يقفك على بدائع نظمها وبيانها ....ثم وصل في الأخير إلى الحكم الذي رتبه فقال – أي الباقلاني - :إنّ الذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لأضل من حمار باهلة*، وأحمق من هبنقة♦ .

ثم قال الأستاذ شاكر :« وصدق الباقلاني في كل ما قال ...، ولعمري إنه لحق لا ينال منه الباطل، ولكنه غير الذي ينبغي أن نتطلبه من كشف أصول البيان التي يفارق بها بيان البشر من الوجه الذي فصلناه»[2]، فالأستاذ شاكر إنما -كما ترى- يزري على القاضي الباقلاني وسيلته في نقد هؤلاء الذين عارضوا القرآن الكريم بشعر امرئ القيس ونحوه كأنه يريد أن يقول للباقلاني : (من الرجز)

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

« والموقف نفسه نجده عند عبد الرؤوف مخلوف الذي يرى أن هذا الصنيع من الباقلاني أنكره عليه كل من له بصر بالنقد، وله فيه معرفة، وبه إلمام، وأنه من الشطط والغلو والإسراف في عيب الشعر والشاعر »[3].

1- المداخل ص 183.

* مثل يبدو أنه مثلٌ في الحماقة، لكني لم أعثر عليه في كتب الأمثال.

♦ مثل عربي معروف يضرب للحماقة، انظر: كتاب جمهرة الأمثال، تأليف: أبي هلال العسكري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش الناشر : دار الفكر بيروت –لبنان،- ،الطبعة الثانية: سنة 1988م، ج1 ص385.

2 - المداخل، ص 185.

3- انظر كتاب: الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص411.

وقال أيضا :« فأراد -كما قدمت- أن يسقط الشعر ليستدل بذلك على إعجاز القرآن، فركب مركبا صعبا، سلك فيه مسلك التحامل والعصبية، ورفع فيه عصا الشناعة على كثير مما قال الشاعران -يريد امرئ القيس والبحتري-»[1].

ومثله قول الدكتور مندور :« وأما نقد الشعر للاستدلال من ذلك على إعجاز القرآن من طريق الاستدلال العكسي، فذلك لا غناء فيه ولا استقامة لمقاييسه »[2].

قال الأستاذ بعدها :«فهذه الموازنة التي هاجت الباقلاني، كما ذكر هو، حملته على هتك الستر عن معلقة امرئ القيس، ليكشف للناس عيبها وخللها، لا ليستخرج منها خصائص بيانهم، وكيف كانت هذه الخصائص مفارقة لخصائص بيان القرآن .فلما زلّ الباقلاني هذه الزلة، وأخطأ الطريق زلّ بها مَن بعده [3]، حيث أخذوا الشعر الجاهلي كله هذا المأخذ، ثم إن الأستاذ شاكر بعدما ضَلَّل هذه الطريق، اهتدى وهدى إلى الطريق التي يراها الأصوب والأبرأ من الزلل فقال عن الباقلاني ومن نهج نهجه هذا :«**كان حسبهم من الدليل** أن أهل الجاهلية بتركهم معارضة القرآن بشعرهم أو كلامهم **هو إقرارٌ لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم**، فلم تكن بالباقلاني حاجة إلى سلوك هذا الطريق الذي سلكه، إلا ما حمله عليه ما نعق به جاهل من جهّال الملحدة من الموازنة بين الكلامين، وتفضيل شعرهم على القرآن!!»[4].

ولعلني أوردُ هنا كلاما أراه مناسبًا لعبد الرؤوف مخلوف الذي درس كتاب الباقلاني دراسة معمقة، فيقول : «إنه يريد أن يصور لنا امرأ القيس في المعلقة بأنه شاعر غير موفق، والقصيدة بأنها القصيدة المختلّة في وزنها، النحلة في معانيها، المتخالفة في أبياتها، فما له لا يملأ نفوسنا بعظمة الشاعر وشعره، وبتقدمه على غيره فيما أذيع وسبق إليه من تعابير وتراكيب، حتى إذا فَجَأنا بانحطاطه في المعلقة، وبالوهن في تأليفها **كان ذلك إخلافا لظننا**، يترل

1- الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص 427.

2- بواسطة المصدر السابق، ص 428.

3 -ومن هؤلاء طه حسين، وقد نبه الأستاذ شاكر أن القاضي الباقلاني افتتح الموضوع والجرجاني فجر عيونه، ثم أبدع العلماء فيه ما أبدعوا، وزادوا فيه عليه ونقصوا انظر ص 189.

4- هذه خلاصة واختصار قصة معاتبة الأستاذ شاكر رحمه الله للباقلاني تجدها مطولة في المداخل ص 182 إلى ص186.

بالصورة المرسومة في أذهاننا للشاعر وشعره من عليائها، وينحِّيه عن المكانة التي احتلـــها في قلوبنا، فنكون من امرئ القيس وشعره :(من البسيط)

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة فلما أتوها أقشعت وتجلت»[1].

[1]- الباقلاني، وكتابه إعجاز القرآن، ص 374-375.

المبحث الرابع: إعجاز القرآن بين محمود شاكر ومالك بن نبي.

لقد ظهرت في العصر الحديث قراءات متنوعة لدرس إعجاز القرآن الكريم، وكانت قراءة مالك بن نبي[1] في كتابه "الظاهرة القرآنية "إحدى القراءات المتميزة ، التي وقف شاكر عليها فقام بقراءتها قراءة تحليل ومناقشة، وقدم لها بمقدمة مهمة؛ هي إحدى الرسائل التي أودعها في كتابه "مداخل إعجاز القرآن"، وقد جعل عنوانها "تذوق راعني حتى تذوقت"، وقف من خلالها على نقاط، هي التي أبرزها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مكانة مالك ابن نبي وكتابه الظاهرة القرآنية.

المطلب الثاني: بيان موضوع كتاب مالك بن نبي وأنه جاء في صحة النبوة لا في الإعجاز.

المطلب الثالث: موقف محمود شاكر من مالك بن نبي في تحديد مشكلة الإعجاز.

---

1 – مالك بن نبي، (1323هـ/ 1905م): مفكرٌ إسلاميٌّ جزائريٌّ. وُلِد بها بمدينة تبسة التابعة لولاية قسنطينة، نشأ في أسرة فقيرة مواردها هزيلة ...، وظهرت عليه علامات النبوغ والتفوق منذ المراحل الأولى من حياته، وبعد حصوله على شهادة الثانوية، وتعثره في مجالات العمل، قرر إكمال دراسته الجامعية، فسافر إلى فرنسا – باريس –، فدخل مدرسة الميكانيك والكهرباء، وكان يتردد بين الجزائر وفرنسا، ثم بعد ذلك رحل إلى القاهرة وأقام بها سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره. باللغة الفرنسية نحو 30 كتابا جلها مطبوع، وترجم بعضها إلى العربية، وكانت القاهرة هي النافذة التي أطل منها إلى المشرق.

وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، بالقاهرة. وتولى إدارة التعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي الجزائري (1964) وتوفي ببلده عام 1973م. منهج التفسير عند مالك بن نبي ص 9-24، وانظر ترجمته في: الأعلام للزركلي 266/5 .

المطلب الأول: مكانة مالك بن نبي وكتابه الظاهرة القرآنية:

كان الأستاذ مالك بن نبي، أحد الأعلام الذين شغلهم القرآن الكريم، كما كان أهم مواضيع القرآن التي اعتنى بها عناية بالغة موضوع إعجاز القرآن الكريم؛ الأمر الذي جعله يؤلف فيه كتابا مستقلا أسماه "الظاهرة القرآنية"، هذا الكتاب الذي قال عنه الأستاذ شاكر في أول مقدمته: «هذا كتاب الظاهرة القرآنية وكفى»[1]، ولا شك أن هذه الكلمة لها معنى كبير في نفس شاكر الذي لا يحسن محاباة أحد من الناس مهما كان حجمه، وبالتالي فإن قدر الكتاب بالمقام الذي لا يجهل، ولا ينبغي أن يجهل، حتى قال شاكر عنه -غير مجامل-: «أحسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل، وهو منهج متكامل يفسِّره تطبيق أصوله»[2]، فهذا كله حريٌّ أن يوقفنا على أهمية الكتاب وضرورة النظر فيه .

أما عن منهجه الذي سلكه في الكتاب، فهو: « منهج يستمد أصوله من تأمل طويل في طبيعة النفس الإنسانية، وفي غريزة التدين في فطرة البشر، وفي تاريخ المذاهب والعقائد التي توسم بالتناقض أحيانا، ولكنها تكشف عن مستور التدين في كل إنسان، ثمّ في سيرة الرسول ﷺ منذ نشأ إلى أن لحق بالرفيق الأعلى»[3].

أما عن موضوع الكتاب فقد ذكر الدكتور عبد الله دراز، في تقديمه على الكتاب أنه في« البحث عن المصدر الحقيقي للقرآن، وأن نعرف ما إذا كان يمكن أن يكون هذا الكتاب قد استخرج من علم أو إدراك من أرسل به أو من معرفة بشرية على وجه العموم أم أنه على العكس من ذلك، هنالك أسباب لا يمكن دفعها، تحدونا إلى الاعتقاد بمصدره العلوي الإلهي»[4].

---

1 - المداخل، ص 142.

2 - المصدر نفسه، ص 142.

3 - المصدر نفسه، ص 143

4 - الظاهرة القرآنية، لمالك بن نبي، ترجمة: عبد الصابور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز، محمود محمد شاكر، إعادة ط4 عام 1987م: 1420هـ/2000م دار الفكر المعاصر بيروت -لبنان-، ص 9-10.

وفي بحث نصر الدين عزوني ذكر مراد مالك بن نبي وهو أنه «حاول أن يثبت ألوهية المصدر بالنسبة للقرآن الكريم اعتمادا على نهج يناسب حال المخاطب»[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – منهج التفسير في فكر مالك بن نبي، إعداد الطالب: نصر الدين عزوني، إشراف: الدكتور أحمد حماني، رسالة ماجستير، السنة الجامعية: 1420- 1421/1999-2000، جامعة العقيد لخضر كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية باتنة.

المطلب الثاني: بيان أنّ كتاب مالك بن نبي وأنه جاء في صحة النبوة لا في الإعجاز.

لقد بيَّن محمود شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ أن كتاب ابن نبيٍّ إنما هو في علم التوحيد لا إعجاز القرآن، وهذه الحقيقة تدلُّ على أنه لابد للباحث أن يعتني بالفروق بين العلوم ولا يدخل بعضها في بعض، حتى لا يقع في الخلط؛ صحيح أن العلوم يأخذ بعضها من بعض، ولكن يوجد بينها فروق ينبغي أن تكون على ذُكْرٍ من الباحث.

يقول شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ :«...ففي مدخل الدراسة -كتاب الظاهرة القرآنية-، وفي بعض فصول الكتاب يُوهم أن من مقاصده تثبيت قواعد في علم إعجاز القرآن، من الوجه الذي يسمى به القرآن معجزا، وهو خطأ فإن منهج مالك في تأليفه، دال أوضح الدلالة على أنه إنما عني بإثبات صحة النبوة، وبصدق دليل الوحي، وأن القرآن تنزيل من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنه كلام الله لا كلام بشر، وليس هذا إعجاز القرآن كما أسلفت، بل هو أقرب أن يكون بابا من علم التوحيد»[1].

ثم قال: «أما مسألة إعجاز القرآن قد بقيت خارج هذا الكتب، وهي عندي أعقد مشكلة يمكن أن يعانيها العقل الحديث»[2].

1 - المداخل، ص 155.

2 - المصدر نفسه، ص 156.

المطلب الثالث: موقف محمود شاكر من مالك بن نبي في تحديد مشكلة الإعجاز:

هنا تأتينا قضية خطيرة تتمثل في تحديد مشكلة "إعجاز القرآن"، وهي من أهم وأعقد القضايا لدى الدارسين الخائضين في هذا الموضوع، فالأستاذ مالك بن نبي يرى أن تحديد مشكلة الإعجاز دائرٌ بين المنهج القديم الذي قام على المقارنة الأسلوبية بين القرآن الكريم والكلام العربي، والذي يتجلى واضحا في أحسن صوره في الشعر الجاهلي، وبين أن يكون تحديد المشكلة على وفق التحول الحاصل في العالم المعاصر، فيقول بن نبي في هذا الصدد: « وهذا يعني أن المنهج القديم في التفسير هو القائم في الأساس على المقارنة الأسلوبية التي لا يمكن أن تتم إلا باللجوء إلى الشعر الجاهلي الذي يعتبر عنصرا جوهريا لا غنى عنه باعتباره الوسيلة التي تجعلنا نعتقد عن يقين في سمو كلام الله ﷻ و تعاليه على كلام البشر»[1].

وابن نبي يرى أن هذا المقياس أصبح لا يتماشى ومتطلبات التحول الحاصل في عالمنا، يقول الأخضر الجمعي: « لا يتردد ابن نبي لحظةً في التأكيد على أننا مطالبون بإجراء تعديل على هذا المنهج مستصحبين التجربة التاريخية التي مرَّ بها العالم الإسلامي ...فواجبنا يكْمُن تحديدا في ضرورة بناء برهان جديد للإعجاز»[2]، وتجاوز البرهان الذي كان يقدم في إطار التفسير القديم.

ويقول نصر الدين عزوني: «وعليه فإن الدعوة إلى التعديل وعدم الاكتفاء بالمقياس الذي اعتمده التفسير القديم هو جوهر موقف ابن نبي منه»[3].

ثم إن الباحث نصر الدين عزوني يرد أسباب ومبررات مالك بن نبي لهذا الموقف منصرفة إلى أمرين اثنين :

«أولا: إلى ما حدث في العلم الإسلامي من تطور كان له أثر واضح على التفسير القديم

---

1 – منهج التفسير في فكر مالك بن نبي، ص79.

2 – مجلة الموافقات العدد الرابع، السنة لرابعة جوان 1995، إصدارات المعهد الوطني العالي لأصول الدين /الجزائر، من مقال بعنوان: التحليل الأسلوبي ومقاييسه في الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ص:203.

3 – منهج التفسير في فكر مالك بن نبي ص 83.

ثانيا: إلى المنهج ذاته أي: إلى الأساس الذي استند إليه، وما طرأ عليه التحول على مستوى الرؤية عند ابن نبي»[1].

وها هنا نجد محمود شاكر وفي معرض بيان هذه الحقيقة، يخالف بن نبي، ولا يوافقه تماما، فيقول مبينا عن موقفه: «...وإذن، فالشعر الجاهلي هو أساس مشكلة "إعجاز القرآن" كما ينبغي أن يواجهها العقل الحديث، **وليس أساس هذه المشكلة هو تفسير القرآن على النهج القديم، كما ظن أخي مالك**، وكما يذهب إليه أكثر من بحث أمر إعجاز القرآن على الوجه من الوجوه».[2]

وبهذا نجد أن القضية بين أخذ ورد، والذي أراه من خلال جميع ما سبق أن تحقيق هذه القضية منقسم بين الفريقين، بمعنى أن الأستاذين قد تقاسما الصواب بينهما، وبيان ذلك أن أقول:

إن الإعجاز البياني للقرآن الكريم الذي هو أحظى وجوه الإعجاز باتفاق العلماء، لا يمكن الوقوف على كنهه إلا بتعريضه إلى أعلى البيان وأكمله في طوق البشر، والذي يتمثل في كلام العرب الجاهليين الذين نزل القرآن بلغتهم متحديا لهم، وبخاصة شعرهم الجاهلي الذي بلغ ذروة البيان البشري، هذا من وجه، ومن وجه آخر لا يمكننا أن نوجب ونقصُر الإعجاز في البيان العربي فقط، حتى لا ينقطع الإعجاز عن القرآن بانقطاع أو فساد التذوق للبيان العربي «فالخاتمية التي اتصف بها الإسلام ستكون مؤثرة لا محالة في إعجازه الذي لا يمكنه أن يتوقف عند لحظة، أو حقبة من الزمن»[3].

ثم إنه لا بد أن نعلم أن آيات الأنبياء، يحتاج إليها الخلق، « فإذا همت آية من آيات الأنبياء بالدروس أو كادت، وضع الله ﷻ على رأس آخر عهد لكل رسول آية، لتترادف حجج الرسل والأنبياء عليهم السلام، وتظهر أعلامهم، وحين همّت آيات الأنبياء السابقين بالضعف، وكادت تنقص على التمام، وانتهت قوتها، بعث الله ﷻ محمدا ﷺ، فجدد به

1 - منهج التفسير في فكر مالك بن نبي، ص 84.
2 - المداخل، ص 167.
3 - منهج التفسير في فكر مالك بن نبي ص 97.

أقاصيص الأنبياء آدم، ونوح، وإبراهيم ...، فعلمنا بذلك أن حجة الله ستتم إلى مدها، وبلوغ أمر الله ﷻ فيها»[1]، وبالتالي سيبقى إعجازها وبرهانها قائما إلى أن تقوم الساعة بما أن رسالة محمد ﷺ باقية إلى ذلكم الحين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - رسائل الجاحظ، ج3/ص257-259، بتصرف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمـــــة:

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذا البحث، الموسوم بـــــ"إعجاز القرآن عند محمـــود شاكر - عرض وتحليل-"، وبعد رحلة علمية شاقة وطويلة عشتها مع هذا البحث، ســـفرا وحضرا، ويقظة ومناما، توصلت إلى النتائج الآتية:

1- أن علم إعجاز القرآن الكريم - كما ذكر شاكر- علمٌ أحدث تاريخا مستفيضا ورائعا، شارك فيه أكابر علماء الأمة في اللغة والبيان والتفسير وعلوم القرآن وعلم الكلام، وسيظل يحدث تاريخا لا ينقطع، تشارك فيه أقلام العلماء والكتاب والباحثين.

2- أن محمود شاكر من الأعلام الذين حققوا مسألة إعجاز القرآن، وأنه أسهم إسهاما كبيرا في تأسيس إعجاز القرآن كعلم خاص يضارع علم البلاغة.

3- أن شاكر عند دراسته للإعجاز جمع بين منهجي تحليل الكلام وتحليل التاريخ، فـــصنع بهما منهجا أداه إلى نتائج مهمة من هذا الدرس.

4- أن شاكر في تأصيله لإعجاز القرآن، عمد أولا إلى المصطلح، فرده إلى مظانه من كلام العرب وبخاصة الذين نزل فيهم القرآن متحديا، وظهر له أن اللفظ لفظٌ محدثٌ، ومع ذلك لم يتركه أدبه مع من سبق من العلماء في اعتبارهم هذا اللفظ، ولكنه أراد أن يفسره تفـــسيرا مطابقا لما يراه أنه الحق، وثانيا قام بالتأريخ للمصطلح، فأثبت أن النظام والجاحظ اشتركا في إظهاره، ثم عرض مسيرة المصطلح إلى عصر عبد القاهر الجرجاني، وثالثا وقف شاكر على علاقة أهملها كثير من الباحثين، وهي علاقة الإعجاز بالعرب وشعرهم الجاهلي، وبـــيّن أن إهمال ذلك أو إلغائه يُفَوِّتُ على الباحث أشياء مهمة.

5- أن الوجه المعتبر عند محمود شاكر في الإعجاز؛ هو الإعجاز من جهة النظم والبيـــان، فوافق جمهور العلماء في ذلك، وأن الوجوه الأخرى التي ذكرها العلماء هي تابعةٌ لهذا الوجه، بل يلزم كل من أقرّ بوجه من الوجوه الأخرى أن يقرَّ أولا بالإعجاز في النظم والبيان، لأن سائر الوجوه ناتجةٌ ومنبثقةٌ عنه.

6- أن شاكر أشاد بجهود من سبقه من العلماء بدءا من الجاحظ الذي كان له قصب السبق إلى كثير من مباحث هذا العلم، مرورا بالواسطيِّ المعتزلي الذي عَدَّه أول من وُجِـد عنـده مصطلح إعجاز القرآن، ثم الرُّماني الذي تكلم عن وجوه بلاغة القرآن، وبعده الخطابي الذي صرّح بغموض لفظ البلاغة التي أحيل إليها إعجاز القرآن، ثم الباقلاني الذي أخرج كتابـا فريدا جليلا في هذا العلم، ومن بعده القاضي عبد الجبار المعتزلي الـذي حـشد مـذاهب الاعتزال في إعجاز القرآن، وانتهاء بعبد القاهر الجرجاني الذي جاء أمة وحده والذي شُغل كثيرا بقضية إعجاز القرآن حتى ألف فيها الكتب التي سارت بها الركبان.

7- أنه كان للأستاذ شاكر مناقشات واعتراضات على هؤلاء العلماء، كما فعل مع النظام والجاحظ في قضية القول بالصرفة في إعجاز القرآن، ومع الباقلاني في قضية استهجان الشعر الجاهلي، ومع مالك بن نبي في مشكلة تحديد وجه الإعجاز.

وفي الأخير أوجه طلبا والتماسا إلى طلبة الدراسات العليا - تخصص إعجاز القـرآن- أن يتوجهوا في بحوثهم الأكاديمية إلى قضية تأصيل علم إعجاز القرآن لأنني أرى أن القـضية لم تحسم بعد، وأن السبيل إلى ذلك يكون بمطالعة مظان هذا العلم من كتب البلاغـة وعلـم الكلام وعلوم القرآن والتفاسير وكتب أعلام النبوة، ونحوها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث والآثار.

أولا: فهرست الأحاديث.

الرقم	طرف الحديث	صحابي الحديث	الصفحة
1	أحبب حبيبك هونا ما	أبو هريرة	33
2	إن الحمد لله نحمده	ابن عباس	117
3	إن المقسطين عند الله تعالى	عبد الله بن عمرو	33
4	إن لكل عمل شرّة...	عبد الله بن عمرو	29
5	بُعثت لأتمم صالح الأخلاق	أبو هريرة	73
6	ما من نبي إلا أوتي	أبو هريرة	116
7	والشرّ ليس إليك	حذيفة بن اليمان	100

ثانيا: فهرست الآثار:

الرقم	طرف الحديث	صاحب الأثر	الصفحة
1	أعِدْ علـيَّ كلماتك هؤلاء	ضماد بن ثعلبة	117
2	فارض لنفسك	عمر بن عبد العزيز	57
3	والله ، إن له لحلاوة	الوليد بن المغيرة	112
4	لا يصلح آخر هذه الأمة	مالك بن أنس	123

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام[1]:

الرقم	العلم	الصفحة
1	إبراهيم أطفيش	18
2	ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم	90
3	ابن عبد البر أبو يوسف بن عبد الله	92
4	ابن منده محمد بن إسحاق	91
5	أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل	97
6	أبو الهذيل العلاف محمد بن الهذيل	104
7	أحمد بن حنبل	92
8	أحمد تيمور باشا	17
9	أحمد شوقي	18
10	أحمد محمد شاكر	13
11	الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب	115
12	البخاري محمد بن إسماعيل	93
13	الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر	127
14	الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله	98
15	الحسن بن حامد البغدادي	91
16	الخطابي أبو سليمان	139

[1] - اعتمدتُ في فهرس العلام الترتيب الألف بائي، ومقدما اسم الشُّهرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

17	الدارمي عثمان بن سعيد	93
18	الرافعي مصطفى صادق	18
19	الرماني أبو الحسن علي بن عيسى	63
20	سيد بن علي المرصفي	17
21	الشريف المرتضى علي بن الحسين	102-101
22	الطناحي محمود محمد	20
23	طه حسين	17
24	عبد القاهر الجرجاني	89
25	عبد الله بن المبارك بن واضح	92
26	العقاد عباس محمود	19
27	غلام الخلال عبد العزيز بن جعفر	91
28	القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي	95
29	مالك بن نبي الجزائري	157
30	محب الدين الخطيب	17
31	محمد الخضر حسين	18
32	محمد أمين خانجي	18
33	محمد شاكر بن أحمد	13-12
34	هارون عبد الرزاق الزهري	13
35	الهروي عبد الله بن محمد الأنصاري	91
36	واصل بن عطاء المعتزلي	94

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية [1].

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ	المائدة	8	32
قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ **أَعَجَزۡتُ** أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ	المائدة	31	40
إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم **بِمُعۡجِزِينَ**	الأنعام	134	40
وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ	الأنفال	59	40
فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ	التوبة	2	40
وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ **مُعۡجِزِي** ٱللَّهِۗ	التوبة	3	57
وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ	التوبة	6	86
وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ	يونس	53	42/41/40
أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ	هود	13	122/40
أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ **مُعۡجِزِينَ** فِي ٱلۡأَرۡضِ	هود	20	40
قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ	هود	33	40
قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ **عَجُوزٞ**	هود	72	40
أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم **بِمُعۡجِزِينَ**	النحل	46	40
وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ	النحل	103	116
قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ	الإسراء	88	122/78/48

[1] - وقد قمت بفهرست الآيات وفق ترتيبها في المصحف الشريف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ	الحج	51	40
لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ	النور	57	40
إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ	الشعراء	177	40
بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ	الشعراء	195	74
فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ	القصص	50	42
وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ	العنكبوت	22	40
وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ	سبأ	5	40
وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ	سبأ	38	40
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ	فاطر	44	40
إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ	الصافات	135	40
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ	الزمر	23	140
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ	الزمر	51	41
لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ	الشورى	11	93
وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ	الشورى	31	41
لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ	فصلت	42	74
وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ	الأحقاف	32	42/41
فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ	الذريات	29	41 "مرتان"
تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ	القمر	20	41
ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ	الرحمن	4-1	114
لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ	الحشر	21	140
فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ خَاوِيَةٖ	الحاقة	7	41 "مرتان"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ	الحاقة	46-44	80
إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا	الجن	1	140
وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا	الجن	12	41

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات.

إهداء.....
شكر وتقدير.....
مقدمة.....أ- ط
مدخلٌ (ترجمة **محمود محمد شاكر**).....(1-22)
المبحث الأول: اسمه وكنيته وولادته ووفاته **1**
اسمه 1
كنيته.....1
ولادته.....1
وفاته.....2
المطلب الثاني: أسرته 2
أسرته.....2
والده.....2
شقيقه.....3
جدّه.....3
المبحث الثاني حياته العلمية.....**5**
المطلب الأول: نشأته العلمية.....5
أولا: التعليم النظامي.....5
ثانيا: التعليم الحر.....6
المطلب الثاني: آثاره العلمية.....9
أولا: تلاميذه.....9
ثانيا: كتاباته.....11
- مؤلفاته.....11

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- تحقيقاته..... 14
- تقديماته على الكتب..... 14
- تعليقاته ومراجعاته وتصحيحاته..... 14
المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه..... 15
المبحث الثالث: تحليل الملامح الشخصية والعلمية لمحمود شاكر..... 17
المطلب الأول: الملامح الشخصية..... 17
أولا: الملل..... 18
ثانيا: الشدة والحدة..... 19
ثالثا: روح المسامحة..... 19
رابعا: محنته في أمته العربية..... 19
المطلب الثاني: الملامح العلمية..... 20
أولا: أنّ بيان الأستاذ شاكر بالقلم أقوى منه بالمشافهة..... 20
ثانيا: دراسة الشعر العربي..... 21
ثالثا: لغة الأستاذ وبيانه..... 21
رابعا: إنصافه في الكتابة..... 21
الفصل الأول: معالم إعجاز عند محمود شاكر "تأصيل درس الإعجاز"..... (24-72)
تمهيد..... 24
المبحث الأول: مصطلح إعجاز القرآن عند محمود شاكر..... 27
المطلب الأول: لفظ الإعجاز في القرآن والمعاجم اللغوية..... 27
أولا: لفظ الإعجاز في القرآن الكريم..... 28
ثانيا: ملاحظات على لفظ الإعجاز في القرآن..... 30
ثالثا: لفظ الإعجاز في المعاجم اللغوية..... 32
المطلب الثاني: وقفات لمحمود شاكر حول مصطلح الإعجاز..... 34
أولا: لفظ الإعجاز لفظ محدَثٌ..... 34
ثانيا: سبب حدوث لفظ الإعجاز..... 35
ثالثا: موقف أهل الكلام من مصطلح الإعجاز..... 35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: التعريف الذي اختاره محمود شاكر للإعجاز... 37
الوصف..... 37
التعريف..... 38
المطلب الثالث: مصطلحات متعلقة بالإعجاز..... 39
أولا: المعجزة..... 39
ثانيا: الآية..... 39
ثالثا: التحدي..... 42
رابعا: الإبلاس..... 43
خامسا: البلاغة..... 44
المبحث الثاني: تاريخ الإعجاز عند محمود شاكر. **45**
تمهيد..... 45
المطلب الأول: المرحلة الأولى 46
المطلب الثاني: المرحلة الثانية..... 48
المطالب الثالث: المرحلة الثالثة..... 50
المطلب الرابع: المرحلة الرابعة..... 52
المبحث الثالث: علاقة الإعجاز بالعرب والشعر الجاهلي عند محمود شاكر.. ..... **58**
تمهيد..... 58
المطلب الأول: العلاقة بين الإعجاز والعرب عند محمود شاكر..... 59
أولا: العرب الذين تحداهم القرآن الكريم..... 59
ثانيا: قدرة العرب على الفصل بين أنواع الكلام..... 60
ثالثا: مبلغهم من الإعراب عما في أنفسهم..... 61
رابعا: إنصافهم..... 62
خامسا: اللسان الذي نزل به القرآن الكريم..... 63
سادسا: العرب والشعر الجاهلي..... 64
المطلب الثاني: العلاقة بين الإعجاز والشعر الجاهلي عند محمود شاكر. 66
أولا: ارتباط الإعجاز بالشعر الجاهلي..... 66

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: إثبات الشعر الجاهلي بطريق هي ألصق بأمر الإعجاز..... 67
ثالثا: بيان الفرق بين الشعر الجاهلي كشاهد للتفسير، والشعر الجاهلي كدليل على إعجاز القرآن الكريم..... 68
رابعا: بيان العلاقة بين إعجاز القرآن وصحّة النبوّة..... 70
الفصل الثاني: إشكالية بيان وجوه الإعجاز عند محمود شاكر.....(74-113)
تمهيد..... 74
المبحث الأول: صفة الكلام عند الفرق الإسلامية..... 75
المطلب الأول: بيان ارتباط مسألة الإعجاز بالعقيدة في كلام الله ﷻ... 77
المطلب الثاني: مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام..... 79
المطلب الثالث: مذهب المعتزلة في صفة الكلام..... 83
المطلب الرابع: مذهب الأشاعرة في صفة الكلام..... 86
المبحث الثاني: موقف محمود شاكر من القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم..... 89
تمهيد..... 89
المطلب الأول: التعريف بالصرفة..... 90
المطلب الثاني: ظهور القول بالصرفة في إعجاز القرآن..... 92
المطلب الثاني: الصرفة عند النظام والجاحظ..... 95
المطلب الثالث: موقف الأستاذ شاكر من القول بالصرفة..... 98
المبحث الثالث: التذوق عند محمود شاكر..... 100
تمهيد..... 100
المطلب الأول: مكانة التذوق عند محمود شاكر..... 101
المطلب الثاني: بيان ماهية التذوق..... 103
المطلب الثالث: التذوق عند شاكر آلة لإدراك إعجاز القرآن..... 105
المبحث الرابع: وجه الإعجاز عند محمود شاكر وموقفه من الوجوه الأخرى..... 107
تمهيد..... 107
المطلب الأول: وجوه الإعجاز بين العرب وبين من جاء بعدهم..... 108
المطلب الثاني: موقف محمود شاكر من وجوه الإعجاز..... 109

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: الوجه الذي ارتضاه محمود شاكر للإعجاز.....111
الفصل الثالث: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والعلماء..... .....(115-152)
تمهيد.....115
المبحث الأول: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والجاحظ..... 116
المطلب الأول: بيان سبق الجاحظ إلى درس الإعجاز وتأسيس مصطلحاته 117
المطلب الثاني: تحقيق مذهب الجاحظ في مسألة القول الصرفة..... 120
المطلب الثالث: بيان وجه إعجاز القرآن عند الجاحظ"النظم القرآني".....125
المبحث الثاني: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والخطابي..... 127
المطلب الأول: بيان أوجه الإعجاز التي اعتنى بها الخطابي 128
المطلب الثاني: إشكالية ماهية البلاغة عند الخطابي؟.....130
المطلب الثالث: مناقشة رأي شاكر في موقفه من البلاغة عند الخطابي. 132
المبحث الثالث: إعجاز القرآن بين محمود شاكر والباقلاني..... 136
المطلب الأول: بيان مكانة الباقلاني وإبراز جهوده في درس الإعجاز.... 137
المطلب الثالث: مؤاخذة شاكر لاستدراكات الباقلاني على كلٍّ من الرُّماني والجاحظ.....139
المطلب الثالث: انتقاد شاكر للباقلاني في موقفه من الشعر الجاهلي.. 142
المبحث الرابع: إعجاز القرآن بين محمود شاكر ومالك بن نبي..... 146
المطلب الأول: مكانة مالك ابن نبي وكتابه الظاهرة القرآنية..... 147
المطلب الثاني: بيان أن كتاب مالك بن نبي جاء في صحة النبوة لا في الإعجاز.....149
المطلب الثالث: موقف محمود شاكر من مالك بن نبي في تحديد مشكلة الإعجاز.....150
خاتمة..... 155
ملخص البحث..... 157
ملخص البحث باللغة الأجنبية..... 158
الفهارس..... 159
فهرس الآيات القرآنية..... 160
فهرس الأحاديث النبوية والآثار..... 163
فهرس الأعلام..... 164

قائمة المصادر والمراجع..... 166
فهرس الموضوعات.....178

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص البحث:

هذا البحث العلمي عبارة عن دراسة في إعجاز القرآن الكريم عند علم من الأعلام المعاصرين هو الأستاذ محمود محمد شاكر المصري رحمه الله ، حيث كتب مقالات متفرقة جمعها في كتاب سماه "مداخل إعجاز القرآن"، كما له تحقيقا لكتاب الجرجاني "دلائل الإعجاز"، ورسالته "الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز"، فأردتُ أن أستقرأ كلام الأستاذ ، ثم أُظهر إسهامه في تأصيل هذا الدرس الجليل المستمد من علمي البلاغة، وعلم الكلام، وأُبرز موقف الأستاذ شاكر ممن سبقه إلى هذا الدرس من الأعلام السابقين المشهورين في هذا المجال أمثال الجاحظ والباقلاني ونحوهما.

ولأجل هذا الغرض قد قمتُ بتقسيم البحث إلى:

مدخلٍ: تحدثت فيه عن حياة محمود محمد شاكر رحمه الله الشخصية والعلمية، وحللت تلك الملامح وبيَّنتُ أثرها في مؤلفاته.

وفصل أول: وهو أهم الفصول عقدته لأجل بيان تأصيل درس الإعجاز عند شاكر وتأسيسه لمباحثه ومفرداته.

وفصلٍ ثانٍ: لأجل بيان وجه الإعجاز الذي تبناه شاكر رحمه الله، وبيَّنتُ موقفه من الوجوه الأخرى، وبخاصة الصَّرفة التي كان للعلماء منها مواقف مختلفة ومتباينة حتى في المدرسة الواحدة كالمعتزلة.

وفصلٍ ثالث: لبيان موقف شاكر رحمه الله ممن سبقه إلى درس الإعجاز، وقد اخترتُ أعيانا من العلماء في درس الإعجاز مرتبا لهم ترتيبا زمنيا مبتدءا بالجاحظ إلى مالك بن نبي.

ثم فهرسٍ: للآيات والأحاديث والأعلام المترجم لهم، وموضوعات البحث وقائمة للمصادر والمراجع التي استعنت بها في البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية